المنار

أنشئ سنة ١٣١٥

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

المحرم سنة ١٣٥١هـ ق برج الجوزاء سنة ١٣١١هـ ش مايو سنة ١٩٣٢م

تفسير القرآن الحكيم
ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

تفسير سلفي أثري عصري إرشادي اجتماعي سياسي

١٠ - سورة يونس

(السورة العاشرة في المصحف وآياتها ١٠٩ عند الجمهور وعند الشامي ١١٠)

هي مكية نزلت بعد سورة الاسراء (بني اسرائيل) وقبل سورة هود . وما رواه ابن مردويه من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس من كونها مدنية غلط مخالف للروايات الكثيرة عنه وعن غيره بل للاجماع الذي يؤيده موضوع السورة من أولها إلى آخرها فهو يدور على

اثبات اصول التوحيد وهدم الشرك واثبات الرسالة والبعث ودفع الشبهات عنها وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين الاصلية التي هي موضوع السور المكية، وعثمان بن عطاء ضعيف متروك لا يحتج بروايته فيما يحتمل الصواب فكيف ينظر اليها في مثل هذه المسألة، ولكن الرواة لم يتركوه مترددا الا وألقوه للناس ليحكموا فيه

وقال السيوطي في الاتقان: استثني منها (فان كنت في شك) الآيتين ٩٤ و٩٥ ـ وقوله (٤٠ ومنهم من يؤمن به) الآية قيل نزلت في اليهود، وقيل من أولها الى رأس أربعين مكي والباقي مدني حكاه ابن الفرس والسخاوي في جمال القراء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقول ان موضوع السورة لا يقبل هذا من جهة الدراية، وهو مما لم تثبت به رواية . وكون المراد بالذين يقرؤن الكتاب (في الآية ٩٤) اليهود لا يقتضي أن تكون نزلت في المدينة . وبيانه من وجهين (أحدهما) أن المراد بالشرطية فيها الفرض لا وقوع الشك حقيقة ولذلك قال ﷺ «لا أشك ولا أسأل» وهو مرسل يؤيده قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري كما سيأتي في تفسيرها (وثانيهما) ان هذا المعنى نزل في سور مكية أخرى كقوله تعالى في سورة الاسراء (فاسأل بني اسرائيل إذ جاءهم) وقوله في سورتي النحل والانبياء (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ووجه مناسبتها لما قبلها أن تلك ختمت بذكر رسالة النبي ﷺ وهذه افتتحت بها، وان جل تلك في بيان أحوال المنافقين و ما كانوا يقولونه وما كانوا يفعلونه عند نزول القرآن مما يدل على كفر[illegible]ملهم من فقهه

وهداية - وهذه في أحوال الكفار ومنها ماكانوا يقولونه في القرآن كالآيات ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٣٧ - ٤٠

واعلم أن التناسب الذي يوجد بين السور ليس سبباً في هذا الترتيب الذي بينها ، فرب سورتين بينهما أقوى التناسب في موضوع الآيات ومسائلها يفصل بينهما تارة ويجمع بينهما أخرى فمن الاول الفصل بين سورتي الهمزة واللهب وموضوعهما واحد . ومنه الفصل بين السور المبدوءة بالتسبيح بسورة المنافقين . ويقابلها من الوجه الثاني الوصل بين سور الطواسين وسور آل حاميم وبين سورتي المرسلات والنبأ وسورتي التكوير والانفطار ، وربما يقال ان التناسب بين أكثر السور المكية أقوى منه بينها وبين السور المدنية

ومن حكمة الفصل بين المتناسب في المعاني كالمكية التي موضوع أكثرها العقائد والاصول العامة والزواجر الصادعة والمدنية التي موضوع أكثرها الاحكام العملية أنه أدنى إلى تنشيط تالي القرآن بالترتيب وأنأى به عن الملل ، وأدعى له إلى التدبر ، فهذه الحكمة تشبه حكمة تفريق مقاصد القرآن في السورة الواحدة من عقائد وقواعد ، وأحكام عملية وحكم أدبية ، وترغيب وترهيب ، وبشارات ونذر ، وأمثال وقصص ، والسدة في كل ذلك التوقيف والاتباع

وها نذا أشرع في تفسير السورة ملتزما فيها القصد والاختصار في كل ماسبق له بيان مفصل في تفسير السور السابقة ولا سيما السورتين المكيتين من السور الطول : الانعام والاعراف : وإنما أبسط القول فيما لم أبسطه فيه تمام البسط من قبل ، وأهمه في هذه السورة مسألة الوحي

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الر، تلك آيات الكتاب الحكيم (٢) أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم، قال الكافرون إن هذا لساحر مبين

﴿ الر ﴾ تقرأ هذه الحروف الثلاث بأسمائها ساكنة غير معربة هكذا: ألف، لام، را. والحرف الاخير غير ممدود. وفائدة النطق بها وبأمثالها هكذا تنبيه الذين تتلى عليهم السورة إلى ما بعدها لعظم المعنى فيه حتى لا يفوتهم من سماعه شيء. وهي اقوى في هذا التنبيه من حرف الهاء الموضوع له في اسم الاشارة، ومن كلة «ألا» الافتتاحية، وقد فصلنا هذه المسألة في أول تفسير سورة الاعراف[1]

﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ أي تلك الآيات البعيدة الشأو، الرفيعة الشأن، التي تأتلف منها هذه السورة، أو القرآن كله، هي آيات الكتاب الموصوف بالحكمة في معانيه، والاحكام في مبانيه، الحقيق بهداية متدبره وواعيه.

﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم ﴾ الاستفهام للتعجيب من عجب الكفار واستنكار إنكارهم للوحي إلى رجل من جنسهم. والوحي الاعلام

---

١) زعم بعض ملاحدة مصر ان هذه الاحرف كانت تكتب في بعض مصاحف الصحابة رمزاً لاصحابها فدخلت في القرآن عند كتابة المصاحف الرسمية ظنا انها من السور. وفي هذا الزعم اكبر جرأة على الافتراء، والاقتحام ورد النقل المتواتر بدون ادنى شبهة غير وسوسة الشيطان، وعداوة الرحمن،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الخاص لامرىء بما يخفى على غيره - أي أكان إيحاؤنا إلى رجل من الناس أمراً نكراً اتخذوه أعجوبة بينهم يتفكهون باستغرابها؟ كأن مشاركتهم له في البشرية يمنع اختصاص الله إياه بما شاء من العلم . والمراد بالناس كفار مكة ومن تبعهم في إنكار نبوة محمد ﷺ ، وعبر عنهم بالناس لأن هذه الشبهة على الرسالة قد سبقتهم اليها أقوام الانبياء قبله كما تقدم في قصة نوح وهود من سورة الاعراف (٧ : ٦٣ و٦٨ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم؟) وهذا المعنى مكرر في القرآن وقد دحضنا هذه الشبهة في آخر تفسير سورة الانعام[1] ﴿ أن أنذر الناس ﴾ «أن» هذه مفسرة لما قبلها ، والانذار الاعلام بالتوحيد والبعث وسائر مقاصد الدين المقترن بالتخويف من عاقبة الكفر والمعاصي أي أوحينا اليه بأن أنذر الناس كافة

﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ التبشير مقابل الانذار ، أي الاعلام المقترن بالبشارة بحسن الجزاء على الايمان والعمل الصالح . والمعنى وبشر الذين آمنوا منهم خاصة بأن لهم قدم صدق عند ربهم يجزيهم به في الآخرة - والصدق في أصل اللغة ضد الكذب ثم أطلق على الايمان وصدق النية والوفاء وسائر مواقف الفضائل ، ومنه في التنزيل : مقعد صدق ، ومدخل صدق ، ومخرج صدق ، وقدم صدق . والقدم هنا السابقة والتقدم . قال البيضاوي : سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدماً لان السبق بها كما سميت النعمة يداً لانها تعطى باليد ، وإضافتها إلى الصدق لتحققها ، والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية

﴿ قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾ قرأ ابن كثير والكوفيون (لساحر) يعنون النبي ﷺ ، والباقون (لسحر) ويعنون به القرآن ، وكلا من القولين قد قالوا ، وكل من القولين يشير الى إثبات رسالته ﷺ فان قولهم ان القرآن سحر جاء به ساحر يتضمن اعترافهم بانها فوق المعهود والمعلوم للبشر في عالم الاسباب المقدورة لهم . وتأكيد قولهم بالجملة الاسمية وإن واللام وبوصف السحر أو الساحر

[1] راجع ص ٢٧٨ ج ٨ تفسير

ARCHIVE

بالمبين الظاهر يفيد الحصر كقول الوليد (إن هذا إلا سحر يؤثر) يعني القرآن . وسموه سحراً لأنه بقوة تأثيره في القلوب وجذبه النفوس الى الايمان يفرق بين المرء وأخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجه وبنيه ، وفصيلته التي تؤويه ، وعشه وتحميه .

وانما السحر ما كان بأسباب خفية خاصة ببعض الناس يتعلمها بعضهم من بعض ، وهي إما حيل وشعوذة وإما أسباب طبيعية علمية من خواص الاشياء ، او قوى النفس المشتركة بين الكثيرين من العارفين بها[1] وقد استبان لعامة العرب ثم لغيرهم من شعوب العجم أن القرآن ليس بسحر يؤثر بالتعليم والصناعة ، بل هو مجموعة علوم عالية في العقائد والآداب والتشريع والاحكام مرقية للعقول ، مزكية للانفس ، مصلحة للناس ، وانه معجز للبشر في أسلوبه ونظمه ومعانيه وهدايته وتشريعه وإخباره بالغيب (٢) وأن محمداً ﷺ ما كان يعرف ولم يكن ليقدر على شيء منه وقد عجز عنه غيره ، فثبت انه نبي الله ورسوله ، وأن ما جاء به وحي منه تعالى .

وقد بينا حقيقة الوحي لغة وشرعا وإثباته لنبينا ﷺ في مواضع منها ما في بحث دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ وهو في (ص ٢١٦ ـ ٢٢٤ ج ١ تفسير) ومنها تفسير (إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح) وهو في (ص ٦٧ ج ٦ تفسير) ومنها رد شبهات الكفار عليه في سورة الانعام (ص ٣٠٩ ـ ٣٢٠ ج ٧ تفسير) ومنها في خلاصتها (ص ٢٧٤ ـ ٢٨٠ ج ٨) ومنها تحقيق القول في مسألة الكلام الالهي بمناسبة تكليم الله لموسى عليه السلام (ص ١٧٨ ـ ١٩١ ج ٩) وبقي علينا بسط القول في نبوة محمد مع مثبتي الوحي ونفاته ، وشبهة النفاة لعالم الغيب عليها وتصويرهم الوحي اليه بغير صورته ، فنعقد له الفصل التالي :

---

١) راجع حقيقة السحر في ص ٣٩٩ ـ ٤٠٥ ج ١ تفسير

٢) راجع إعجاز القرآن ص ١٩٠ ـ ٢١٥ ج ١ تفسير

فصل في اقامة الحجة على مثبتي الوحي ونفاته

(في إثبات نبوة محمد ﷺ)

الكلام في الوحي لمحمد ﷺ مع مثبتي الوحي

أما الفريق الاول فهم أهل الكتاب ، وان من اطلع على كتبهم المقدسة المعبر عنها بكتب العهدين العتيق والجديد وعلى القرآن وكتب السنة والسيرة المحمدية علم علماً عقلياً وجدانياً انه لا يستطيع أحد أن يؤمن إيماناً علمياً بأن تلك كتب وحي من الله ، وان الذين كتبوها أنبياء معصومون فيما كتبوه ، ثم لا يؤمن بأن القرآن وحي من الله وأن محمداً نبي معصوم فيما بلغه عن الله تعالى ، كما لا يستطيع فقيه أن ينكر فقه أبي حنيفة والشافعي ، ولا نحوي أن يجحد نحو سيبويه وابن جني ، ولا شاعر أن ينفي شاعرية الرضي والبحتري ، كما لا يستطيع بصير أن يكابر حسه فيفضل نور القمر والكوكب على ضوء الشمس ونور السراج على نور النهار ، ولله در البوصيري حيث قال :

الله أكبر ان دين محمد ... وكتابه اقوى وأقوم قيلا

لاتذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فاطفيء القنديلا

وقد صرح بهذا المعنى علماء الافرنج الذين نشؤا في النصرانية وأحاطوا بها علماً وخبراً ثم عرفوا الاسلام معرفة صحيحة ولو غير تامة . وهاك شهادة حديثة لعالم مستشرق منهم

كتب الاستاذ أدوار مونتيه المستشرق مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف الجامعة في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن ماترجمته بالعربية :

« كان محمد نبيا صادقا كما كان انبياء بني اسرائيل في القدم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى اليه ، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الالوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الانبياء أسلافه فحدث فيه كما كانت تحدث فيهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.co

ذلك الالهام النفسي، وهذا التضاعف في الشخصية اللذين يحدثان في العقل البشري المرائيّ والتجليات والوحي والاحوال الروحية التي من بابها » اه

فهذا العالم الاوربي المستقل الفكر يقول ان كل ما كان به انبياء بني اسرائيل انبياء كان ثابتا لمحمد . ونحن نقول ان جميع خصائص النبوة التي كانت فيه هي اكمل شكلا وموضوعا وأصح رواية وأبعد عن الشبهات كما سنوضحه ، وأما ما فسر بعض هذه الخصائص فهو التعليل الذي يعلل به الماديون الوحي المطلق، وسنتكلم عليه في القسم الثاني من هذا الفصل

وقد لخص هذا العالم خبر نزول الوحي على محمد ﷺ من كتب إسلامية مذعنا لصحة رواياتها وفصلها بعده العالم المستشرق الفرنسي أميل درمنغام[1] في كتابه (حياة محمد) مذعنا لصحة الرواية وموضوعها [illegible] لتأثير نبوته في إصلاح البشر متمنيا الاتفاق بين المسلمين والنصارى أسفا لشقاق بينهم

واننا ننقل [illegible] الوحي [illegible] (الكتاب) عن احد علماء الافرنج الجامعين بين العلوم العصرية و[illegible] والتواريخ وهو الدكتور جورج بوست الشهير مؤلف كتاب (قاموس الكتاب المقدس) بالعربية ليبني عليها الباحث المستقل العقل حكمه في نبوة انبياء بني اسرائيل ووحيهم ونبوة محمد رسول الله وخاتم النبيين والوحي الذي انزل عليه

تعريف الوحي عندهم

جاء في تفسير كلمة «وحي» من قاموس الكتاب المقدس ما نصه مع حذف رموز الشواهد :

« تستعمل هذه اللفظة للدلالة على نبوة خاصة بمدينة أو شعب . وجاء في (حز ١٢ : ١٠) «هذا الوحي هو الرئيس» اي انه آية للشعب، وعلى العموم يراد بالوحي الالهام . وعلى ذلك يقال «ان كل الكتاب هو موحى به من الله» والوحي بهذا المعنى هو حلول روح

(١) يكتب هذا الاسم في مجلة السياسة (درمنجيم) بالجيم المصرية وانما اخترنا كتابته بالغين لكتاب جاءنا من المؤلف بالعربية كتب فيه امضاءه : اميل درمنغام ونشرناه في الجزء الاول من مجلد المنار الثلاثين

الله في روح الكتاب الملهمين وذلك على انواع (١) إفادتهم بحقائق روحية او حوادث مستقبلة لم يكن يمكنهم التوصل اليها إلا به (٢) ارشادهم الى تأليف حوادث معروفة أو حقائق مقررة والتفوه بها شفقاها او تدوينها كتابة بحيث يعصمون من الخطأ. فيقال «تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» وهنا لا يفقد المتكلم او الكاتب شيئا من شخصيته وانما يؤثر فيه الروح الالهي بحيث يستعمل ما عنده من القوى والصفات وفق إرشاده تعالى. ولهذا نرى في كل مؤلف من الكتاب الكرام ما امتاز به من المواهب الطبيعية ونمط التأليف وماشابه ذلك وفي شرح هذا التعليم دقة. وقد اختلف العلماء فيما اوردوه من شرحه، غير ان جميع المسيحيين يتفقون على ان الله قد اوحى لأولئك الكتاب ليدونوا إرادته ويفيدوا الانسان ما يجب عليه من الايمان والعمل لكي ينال الخلاص الابدي» اه

تعريف النبوة والانبياء عندهم

وجاء في تفسير معنى انبياء ما نصه

« النبوة لفظة تفيد معنى الأخبار عن الله وعن الأمور الدينية ولا سيما عما سيحدث فيما بعد. وسمي هارون نبيا لانه كان المخبر والمتكلم عن موسى نظرا لفصاحته. أما انبياء العهد القديم فكانوا ينادون بالشريعة الموسوية، وينبئون بمجيء المسيح. ولما قلت رغبة الكهنة وقل اهتمامهم بالتعليم والعلم في ايام صموئيل أقام مدرسة في الرامة وأطلق على تلامذتها اسم بني الانبياء فاشتهر من ثم صموئيل باحياء الشريعة وقرن اسمه باسم موسى وهارون في مواضع كثيرة من الكتاب وتأسست أيضا مدارس أخرى للانبياء في بيت ايل وأريحا والجلجال وأماكن اخرى. وكان رئيس المدرسة النبوية يدعى ابا او سيدا، وكان يعلم في هذه المدارس تفسير التوراة والموسيقى والشعر، ولذلك كان الانبياء شعراء وأغلبهم كانوا يرنمون ويلعبون على آلات الطرب. وكانت الغاية من هذه المدارس أن يرشح الطلبة فيها لتعليم الشعب. أما معيشة الانبياء وبني الانبياء فكانت ساذجة للغاية، وكثير منهم كانوا متنسكين او طوافين يضافون عند الاتقياء.

« ويظهر ان كثيرين من الذين تعلموا في تلك المدارس لم يعطوا قوة على الانباء بما سيأتي ، انما اختص بهذه الخصوصية اناس منهم كان الله يقيمهم وقتا دون آخر حسب مشيئته، ويمدهم بتربية فوق العادة لواجباتهم الخطيرة. على ان بعض الانبياء الملهمين كان يختصهم الله بوحيه ولم يتعلموا من قبل ولا دخلوا تلك المدارس كعاموس مثلا فانه كان راعيا وجاني جميز . اما النبوة فكانت على انواع مختلفة كالاحلام والرؤى والتبليغ . وأحيانا كثيرة كان الانبياء يرون الامور المستقبلة بدون تمييز ازمنتها فكانت تقترن في رؤاهم الحوادث القريبة العهد مع البعيدة كاقتران نجاة اليهود من الاشوريين بخلاص العالم بواسطة المسيح ، وكاقتصار اسكندر ذي القرنين باتيان المسيح ، وكاقتران انسكاب الروح القدس يوم الخميس بيوم الحشر . ومن هذا القبيل اقتران خراب اورشليم بحوادث يوم الدينونة

«وقد ارسل الله الانبياء الملهمين ليعلنوا مشيئته وليصلحوا الشئون الدينية وعلى الاخص ليخبروا بالمسيح الآتي لتخليص العالم ، وكانوا القوة العظيمة الفعالة في تعليم الشعب وتنبيهم وارشادهم الى طريق الحق . وكان لهم دخل عظيم في الامور السياسية اه بنصه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مايرد على نبواتهم من تعرفها

أما تفسيره الالهام بحلول روح الله في روح الملهم فهو تحكم للنصارى لايعرفه ولا يعترف به أنبياء بني اسرائيل ولا علماؤهم . ولا يمكنهم إثباته ولا دفع ما يرد عليه من وقوع التعارض والتناقض والخلف فيما كتبه أولئك الملهمون وماخالفوا فيه الواقع ، وقد أشار الى ذلك بقوله :ان في شرح ذلك التعليم دقة وان العلماء اختلفوا في شرحه الخ ، ومن حل فيه روح الله صار الها اذ المسيح لم يكن الها عند النصارى الا بهذا الحلول فكيف يقع في مثل ماذكر ويتخلف وحيه او يخالف الواقع؟

وأما كلامه في النبوة والانبياء فيؤخذ منه مايأتي :

«١» ان أكثر أنبياء بني اسرائيل كانوا يتخرجون في مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها تفسير شريعتهم التوراة والموسيقي والشعر وأنهم كانوا شعراء ومغنين وعزافين على آلات الطرب وبارعين في كل مايؤثر في الانفس ويحرك الشعور

والوجدان ، ويثير رواكد الخيال ، فلا غرو أن يكون عزرا ونحميا من أعظم أنبيائهم ساقيين من سقاة الخمر لملك بابل (ارتحشتا) ومغنيين له ، وان يكونا قد استعانا بتأثير غنائهما في نفسه على سماحه لهما بالعودة بقومهما الى وطنهما واقامة دينهما فيه

فالنبوة على هذا كانت صناعة تعلم موادها في المدارس ويستعان على الاقناع بها بالتخيلات الشعرية والالهامات الكلامية ، والمؤثرات الغنائية والموسيقية . والمعلومات المكتسبة . فأين هي من نبوة محمد الأمي الذي لم يتعلم شيئاً ولم يقل شعراً ، وقد جاء بأعظم مما جاءوا به كلهم ؟

« ٢ » ان كثيراً من هؤلاء الانبياء وأولادهم كانوا متنسكين أو طوافين على الناس يعيشون ضيوفاً عند الاتقياء المحبين لرجال الدين كما هو المعهود من دراويش المتصوفة أهل الطرق في المسلمين ، ومن المعلوم أن هؤلاء هم الذين يقبلون من رجال التنسك كل مايقولون ، ويسلمون لهم مايدعون ، ويدينون عنهم كل مايقبلون منهم ، ومن غير هؤلاء [illegible] الانبياء [illegible] كتبهم المقدسة بعض كبائر المعاصي ، وان من احبار الصوفية والنساك [illegible] المسلمين من تفضل سيرتهم سيرة هؤلاء الانبياء في كتبهم ، فكيف يصح أن يرتفع أحد منهم الى درجة محمد ﷺ في نشأته الفطرية ومعيشته من كسبه ، وكونه لم يكن عالة على الناس في شيء قبل النبوة ولا بعدها

« ٣ » أشهر أنواع نبوتهم الاحلام والرؤى المنامية والتخيلات المبهمة وكلها تقع لغيرهم ، وقد كانت الرؤيا الصادقة مبدأ نبوة محمد ﷺ قبل وحي التشريع الذي كان له صور أعلى منها سنبينها بعد . والرؤى صور حسية في الخيال تذهب الآراء والافكار في تعبيرها مذاهب شتى فلما يعرف تأويل الصادق منها غير الانبياء كرؤيا ملك مصر التي عبرها يوسف عليه السلام ، ورؤياه هو في صغره

« ٤ » ان نبوة الاخبار عن الامور المستقبلة وهي التي يستدلون بها على كونهم مخبرين عن الله تعالى كانت أحياناً كثيرة بدون تمييز أزمنتها ولا حوادثها فكان بعضها يختلط ببعض فلا يكاد يظهر المراد منها إلا بعد حملها على شيء واضح بعد وقوعه كما يصدق في كل عصر من أخبار العرافين والمنجمين ، بله الروحانيين الكاشفين ،

ومنها ما ظهر خلافه كما أشار إليه ولم يشرحه ولكن التاريخ شرحه . وكان أعظم نبوات هؤلاء الانبياء إخبارهم عن المسيح (مسيا) وملك اسرائيل وخراب العالم ومجيء الملكوت وهي لا تزال مبهمة مضطربة ومثار خلاف كبير بين اليهود والنصارى

امتياز نبوة محمد على نبوة من قبله

فأنى تضاهي هذه الاخبار (النبوات) وهي كما علمت أنباء القرآن الكثيرة بالمغيبات كالذي بيناه في خلاصة تفسير السورة السابقة مما وقع من المنافقين وما هو في سورة الفتح . وقوله تعالى في أول سورة الروم (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) الآية ، وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) وأنه من إنباء النبي ﷺ أصحابه بأنهم سيفتحون بعده بلاد الشام وبلاد الفرس ومصر وسيتولون على ملك كسرى وقيصر حتى انه سمى كسرى [illegible] الخ

هذا ما يقال بالإجمال في أحد موضوعي النبوة وهو الإخبار عما سيكون في مستقبل الزمان ، فما جاء به محمد ﷺ منها في وحي القرآن وغيره أظهر وأوضح وأبعد عن احتمال التأويل ، وأعصى على إنكار المرتابين ، ويزيد عليه ما جاء به من أنباء الغيب الماضية ، وسأذكر ما يتأوله به الجاحدون للنبوة والوحي في بيان بطلان شبهتهم

وأما الموضوع الثاني للنبوة وهو الأهم الأعظم أي عقائد الدين وعباداته وآدابه وأحكامه فالنظر فيه من وجهين (أحدهما) ما ذكروه من كونه لا يمكن أن يصل اليه عقل من جاء به وفكره ولا علومه ومعارفه الكسبية فيتعين أن يكون بوحي من الله (وثانيهما) أن يكون ما فيه من هداية الناس وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم أعلى في نفسه من معارف البشر في عصره ، فيتعين أن يكون وحياً

فأما الاول الخاص بشخص الرسول فان العاقل المستقل الفكر إذا عرف تاريخ محمد ﷺ وتاريخ أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام فانه يرى أن محمداً ﷺ قد نشأ أمياً لم يتعلم القراءة ولا الكتابة ، وان قومه الذين نشأ فيهم كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ الامم وعلوم التشريع والفلسفة ، حتى إن مكة عاصمة بلادهم ، وقاعدة

دينهم، ومثوى كبرائهم ورؤسائهم ، ومثابة الشعوب والقبائل للحج والتجارة فيها ، والمفاخرة بالفصاحة والبلاغة في أسواقها التابعة لها ، لم يكن يوجد فيها مدرسة ولا كتاب مدون قط، فما جاء به من الدين التام الكامل ، والشرع العام العادل، لا يمكن ان يكون مكتسباً ولا ان يكون مستنبطاً بعقله وفكره كما بيناه من قبل ، وسندفع مايرد من الشبهة عليه في القسم الثاني من هذا الفصل

ويرى نجاهدنا أن موسى أعظم اولئك الانبياء في علمه وفي شريعته وفي هدايته قد نشأ في اعظم بيوت الملك لأعظم شعب في الارض وأرقاه تشريعا وعلما وحكمة وفنا وصناعة ، وهو بيت فرعون مصر ، ورأى قومه في حكم هذا الملك القوي القاهر مستعبدين مستذلين، تذبح أبناؤهم وتستحيا نساؤهم، تمهيداً لفنائهم ومحوهم من الارض، ثم انه مكث بضع سنين عند حميه وكان نبيا ـ او كاهنا كما يقولون ـ فمن ثم يرى منكرو الوحي ان ماجاء به موسى من الشريعة الخاصة بشعبه ليس بكثير على رجل كبير العقل عظيم الهمة، ناشيء في بيت الملك والتشريع والحكمة الخ

ثم ظهر في أوائل هذا القرن الملادي أن شريعة التوراة موافقة في اكثر أحكامها لشريعة حمورابي العربي الملك الذي كان قبل موسى وقد قال الذين عثروا على هذه الشريعة من علماء الآثار في خرائب العراق انه قد تبين أن شريعة موسى مستمدة منها لا وحي من الله تعالى كما شرحنا ذلك في مجلد المنار السادس وذكرنا خلاصته في تفسير سورة التوبة (٩ : ٣٠) وهو في [ص ٣٤٨ ج ١٠] وأقل ما يقوله مستقل الفكر في ذلك انه ان لم تكن التوراة مستمدة منها فلا تعد أحق منها بأن تكون وحيا من الله تعالى ، ولم ينقل ان حمورابي ادعى ان شريعته وحي من الله تعالى

ثم يرى الناظر سائر أنبياء العهد القديم كانوا تابعين للتوراة متعبدين بها ، وانهم كانوا يتدارسون تفسيرها في مدارس خاصة بهم وبأبنائهم مع علوم أخرى ، فلا يصح أن يذكر أحد منهم مع محمد ويرى أيضا أن يوحنا المعمدان الذي شهد المسيح بتفضيله عليهم كلهم لم يأت بشرع ولا بنبأ غيبي ـ بل يرى ان عيسى عليه السلام وهو أعظمهم قدراً ، وأعلاهم ذكراً ، وأجلهم أثراً ، لم يأت بشريعة جديدة بل كان تابعا لشريعة التوراة مع نسخ قليل من أحكامها، وإصلاح روحي أدبي لجمود اليهود المادي على ظواهر ألفاظها ، فأمكن لجاحدي الوحي أن يقولوا انه لا يكثر على رجل مثله ذكي

الفطرة ذكي العقل ناشىء في حجر الشريعة اليهودية، والمدنية الرومانية، والحكمة اليونانية ، غلب عليه الزهد والروحانية ، أن يأتي بتلك الوصايا الادبية ، ونحن المسلمين لا نقول هـذا وإنما يقوله الماديون والملحدون والعقليون وألوف منهم ينسبون إلى المذاهب النصرانية

وأما الوجه الثاني وهو عقائد الدين وعباداته وآدابه وأحكامه فلا يرتاب العقل المستقل المفكر غير المقلد لدين من الاديان أن عقائد الاسلام من توحيد الله وتنزيهه عن كل نقص، ووصفه بصفات الكمال، والاستدلال عليها بالدلائل العقلية والعلمية الكونية، ومن بيان هداية رسله ، ومن عباداته وآدابه المزكية للنفس المرقية للعقل ، ومن تشريعه العادل وحكمه الشوري المرقي للاجتماع البشري - كل ذلك أرقى مما في التوراة والاناجيل وسائر كتب العهد القديم والجديد ، بل هو الاصلاح الذي بلغ به دين الله أعلى الكمال ، ويشهد بهذا علماء الافرنج وقد شرحناه من وجهة نظرنا وجهة نظرهم في مواضع من المنار والتفسير [آخرها ص ٣٥٩ ج ١٠ تفسير]

ومن نظر في قصة آدم ونوح وابراهيم ولوط واسحق ويعقوب ويوسف من سفر التكوين وسيرة موسى وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء في سائر أسفار العهد القديم ، ثم قرأ هذه القصص في القرآن يرى الفرق العظيم في الاهتداء بسيرة هؤلاء الانبياء العظام ، ففي أسفار العهد القديم يرى وصف الله تعالى بما لايليق به من الجهل والندم على خلق البشر والانتقام منهم ، ووصف الانبياء أيضا بما لايليق بهم من المعاصي مما هو قدوة سوء ، من حيث يجد في قصص القرآن من حكمة الله تعالى ورحمته وعدله وفضله وسننه في خلقه ، ومن وصف انبيائه ورسله بالكمال وأحاسن الاعمال ، ما هو قدوة صالحة وأسوة حسنة تزيد قارئها إيمانا وهدى ، فأخبار الانبياء في كتب العهدين تشبه بستانا فيه كثير من الشجر والعشب والشوك ، والثمار والازهار والحشرات ، وأخبارهم في القرآن تشبه العطر المستخرج من تلك الازهار ، والعسل المشتار من تلك الثمار ، ويجد فيه رياضاً أخرى جمعت جمال الكون كله

وندع هنا ذكر ما كتبه علماء الافرنج الاحرار في نقد هذه الكتب والطعن فيها ، ومن أخصرها وأغربها كتاب (أضرار تعليم التوراة والانجيل) لاحد علماء الانكليز ، وما فيها من مخالفة العلم والعقل والتاريخ ، والقرآن خال من مثل ذلك

ARCHIVE

(صد الكنيسة عن الاسلام وبغيه عوجا)

ان رجال الكنيسة لم يجدوا مايصدون به اتباعها عن الاسلام بعد أن رأوه قد قضى على الوثنية والمجوسية وكاد يقضي على النصرانية في الشرق ثم امتد نوره إلى الغرب الا تأليف الكتب ونظم الاشعار والاغاني في ذم الاسلام ونبيه وكتابه بالافك والبهتان وفحش الكلام الذي يدل على أن هؤلاء المتدينين اكذب البشر واشدهم عداوة للحق والفضيلة في سبيل رياستهم التي يتبرأ منها المسيح عليه صلوات الله وسلامه وقد كان أتباعهم يصدقون ما يقولون ويكتبون، ويتهيجون بما ينظمون وينشدون، حتى اذا ما اطلع بعضهم على كتب الاسلام ورأوا المسلمين وعاشروهم فضحوهم أقبح الفضائح، كما ترى في كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) للكونت دي كاستري وكما ترى في الكتاب الفرنسي الذي ظهر في هذا العهد باسم (حياة محمد) للموسيو درمنغام وهذان الكاتبان افرنسيان من طائفة الكاثوليك اللاتين، وقد صرحا كثيرهما بأن كنيستهم هي البادئة بالظلم [illegible] المسلمين في الدفاع (*)

(*) قال موسيو درمنغام [illegible] حسين هيكل: لما نشبت الحرب بين الاسلام والمسيحية اشتدت قوة الخلف وسوء الفهم بطبيعة الحال وازدادت شدة ويجب أن يعترف الانسان بأن الغربيين كانوا السابقين الى أكثر الخلاف . فمن الجاحدين البيزنطيون الذين أوغروا الاسلام احتقاراً من غير أن يكلفوا أنفسهم فيما خلا جدالا [illegible] مؤنة دراسته لمحاربي الكتاب والنظامون (من الشعراء) مسلمي الاندلس الا بأسخف المثالب لقد زعموا محمداً [illegible] (؟) وزعموه متهالكا على اللهو وزعموه ساحراً وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق بل زعموه قساً رومانياً حنقاً لانه لم ينتخب للكرسي البابوي .. وحسبه بعضهم الهاً زائفاً يقرب له عباده الضحايا البشرية وان [illegible] محمداً مات في نوبة سكر بين (كذا) وان جسمه وجد ملقى على كوم من الروث وقد أكلت منه الخنازير وذلك ليفسر السبب الذي من أجله حرم الخمر وحرم لحم ذلك الحيوان . . . وذهبت الاغنيات الى حد أن جعلت محمداً تمثالا من ذهب وجعلت المساجد الاسلامية ملأى (معابد أصنام) ملأى بالتماثيل والصور، وقد تحدثت واحدة أغنية أنطاكية حديثها عن رؤى صنم (ماهوم) مصنوعا من ذهب ومن فضة [illegible] فوق فيل على مقعد من الفسيفساء وأما أغنية رولان التي تصور فرسان شارلمان يحطمون الاوثان الاسلامية فتزعم أن مسلمي الاندلس يعبدون ثالوثا مكونا من ترفجان وماهوم (هو ماهوم ومحمد) وابولون . وحسب [illegible] ان الاسلام يبيح للمرأة تعدد الازواج .

واستمرت هذه الاحقاد والخرافات قوية متشبثة بالحياة . فلقد روداف دلوهم الى وقتنا الحاضر ثم [illegible] وغيرهم [illegible] وصفوا محمداً [illegible] والاسلام بأنه مجموعة من الخرافات (الكفر) كما وأنهم من عمل الشيطان والمسلمين بأنهم وحوش والقرآن بأنه نسيج من السخافات . اه المراد منه على كثرة ما فيها في ترجمته وهو قليل من اسرائيم

ولما ظهرت طائفة البروتستان وغلب مذهبها في شعوب الانجلوسكسون والجرمان، وكان الفضل في دعوتهم الاصلاحية لما انعكس على أوربة من نور الاسلام، لم يتعفف قسوسهم ودعاتهم (المبشرون) عن افتراء الكذب، ولا تجملوا فيه بشيء من النزاهة والادب، والذي نراه في هذا العصر من مطاعنهم وافترائهم وسوء أدبهم أشد مما نراه من غيرهم، ولكن الذين أنصفوا الاسلام من أحرار علمائهم أصرح قولا، ولعلهم أكثر من اللاتين عدداً، وكذلك الذين اهتدوا به، وسبب ذلك أن الحرية والاستقلال في تربيتهم أقوى، وسيكونون هم الذين ينشرون الاسلام في أوربة والولايات المتحدة الاميركانية ثم في سائر العالم كما جزم العلامة برناردشو الانكليزي في كتابه الحياة الزوجية

مسألة الآيات والعجائب أي الخوارق

بقي الكلام في مسألة العجائب التي تثبت على أساسها الكنائس النصرانية على اختلاف مذاهبها، وفيما يدعونه من تجريد محمد ﷺ من لباسها، وهي قد أصبحت في هذا العصر حجة على دينهم لا له، وصادة للعلماء والعقلاء عنه لا مقنعة به، ولولا حكاية القرآن لآيات الله التي ايد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان إقبال أحرار الافرنج عليه اكثر، واهتداؤهم به أعم وأسرع، لان أساسه قد بني على العقل والعلم وموافقة الفطرة البشرية، وتزكية أنفس الافراد، وترقية مصالح الاجتماع، وآيته التي احتج بها على كونه من عند الله تعالى هي القرآن، وأمية محمد عليه الصلاة والسلام، فهي آية علمية تدرك بالعقل والحس والوجدان

كفاك بالعلم في الامي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

واما تلك العجائب الكونية فهي مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها. وأمثال هذه الامور تقع من اناس كثيرين في كل زمان والمنقول منها عن صوفية الهنود والمسلمين أكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد وعن مناقب القديسين وهي من منفرات العلماء عن الدين في هذا العصر، وسنبين ما جاء الاسلام فيها من الفصل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العجائب وما للمسيح منها

جاء في تعريف العجائب وأنواعها من قاموس الكتاب المقدس ما نصه:

«عجيبة: حادثة تحدث بقوة الهية خارقة لمجرى العادة الطبيعية لاثبات أو رسالة من جرت على يده أو فيه. والعجيبة الحقيقية هي فوق الطبيعة لا ضدها تحدث بتوقيف نواميس الطبيعة لا بعدم كسنها، وهي اظهار نظام أعلى من الطبيعة يخضع له النظام الطبيعي، ولنا في عمل الارادة مثال يظهر لنا حقيقة أمر العجائب اذ بها نرفع اليد وبذلك توقف ناموس الثقل. ويتسلط الله على قوى الطبيعة ويرشدها ويمد مدارها أو يحصره لانها عوامل لمشيئته. ويناط فعل العجائب بالله وحده أو بمن سمح له بذلك

«واذا آمنا بالاله القادر على كل شيء لم يعسر علينا التسليم بامكان العجائب وكانت العجيبة الاولى خليقة الكون من العدم بإرادته تعالى. اما المسيح فاقنومه عجيبة ادبية عظيمة وعجائبه [illegible] الاقنوم واعماله، واذا آمنا بالمسيح ابن الله القديم [illegible] يعسر علينا [illegible] بعجائبه اما الشيطان فعجائبه كذابة

«ولا بد من العجائب [illegible] كثيراً ما يستشهد المسيح بعجائبه لاثبات لاهوته وكونه المسيح، وكان يفعلها لتمجيد الله ولمنفعة نفوس الناس وابدانهم، وكان يفعلها ظاهراً امام جماهير اصحابه واعدائه ولم ينكرها اعداؤه غير انهم نسبوها لبعلزبول(١) وسواء امتحناها بالشهادة من الخارج ومناسبتها الى ارساليته الالهية ظهرت لكل من كان خاليا من الغرض صحيحة. فاذا لم نسلم بصحتها التزمنا ان نقول بان مقرريها كذابون الامر الذي لا يسوغ ظنه بالمسيح والرسل

«وبقيت قوة العجائب في عصر الرسل ولما امتدت الديانة المسيحية زال الاضطرار اليها(٢) ولا يلزمنا الآن سوى العجائب الادبية الحاصلة من هذه الديانة، مع الشواهد الداخلية على صحتها غير انه يمكن لله تعالى ان يجددها في اي وقت شاء» اهـ

ثم وضع المؤلف جدولا احصى فيه عجائب العهد القديم من خراب سدوم

(١) اي الى الشيطان والاناجيل تثبت العجائب للشيطان كما صرح به آنفا

(٢) هذا مذهب البروتستانت واما الكاثوليك فيدعون وجودها في كل عصر

ARCHIVE

وعمورة على قوم لوط الى «خلاص يونان (يونس) بواسطة حوت » فبلغت ٦٧ عجيبة وفي عليه بجدول العجائب المقرونة بحياة المسيح من الحبل به « بفعل الروح القدس » الى « الصعود إلى السماء » فبلغت ٣٧ . وعزز الجدولين بثالث في « العجائب التي جرت في عصر الرسل » أي الذين بثوا دعوة المسيح من تلاميذه وغيرهم من « انسكاب الروح القدس يوم الخمسين » الى « شفاء أبي بوبليوس وغيره » فكانت عشرين . وقد صرح بأن يوحنا المعمدان لم يرد في الكتاب انه صنع عجائب

بحث في عجائب المسيح عليه السلام

اقول : ان ٢٧ من عجائب المسيح المذكورة شفاء مرضى ومجانين لابستهم الشياطين وثلاث منها إقامة موتى عقب موتهم ومعجز قبل الحبل به وتحويل الماء الى خمر وسحب الشبكة في بحر الجليل واشباع خمسة آلاف مرة واربعة آلاف مرة أخرى وضرب التينة [illegible] المسيح [illegible] الموت والصعود . واننا نلخص رواية [illegible] منكرو العجائب

الميت الاول شاب من مدينة نايين كان محمولا في جنازة وأمه تبكي فاستوقف النعش وقال له: أيها الشاب لك أقول قم . فجلس وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه (لو ٧: ١١ ـ ١٦)

الثاني صبية ماتت فقال له أبوها وكان رئيساً : ابنتي الآن ماتت لكن تعال فضع يدك عليها فتحيا. فجاء بيت الرئيس ووجد المزمرين والجمع يضجون فقال لهم « تنحوا فان الصبية لم تمت لكنها نائمة » فضحكوا عليه فلما أخرج الجمع دخل وأمسك يدها فقامت الصبية (مت ٩: ١٨ ـ ٢٤)

فمنكرو العجائب يقولون ان كلا من الشاب والشابة لم يكونا قد ماتا بالفعل وان كثيراً من الناس في كل زمان قد قاموا من نعوشهم بل من قبورهم بعد أن ظن الناس انهم ماتوا . ولذلك تمنع الحكومات المدنية دفن الميت إلا بعد أن يكتب أحد الاطباء شهادة بموته . وللمؤمنين بالآيات أن يجزموا أيضاً بأن الصبية لم تكن ميتة أخذا بظاهر قوله عليه السلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما الثالث فهو « ليعازر » حبيبه وأخو مرثا ومريم حبيبتيه : مرض في قريتهم « بيت عنيا » فأرسلتا الى المسيح قائلتين « هو ذا الذي تحبه مريض » فمكث يومين وحضر فوجد أنه مات منذ اربعة أيام فلاقته مرثا وقالت : ياسيد لو كنت هنا لم يمت أخي، ثم دعت أختها مريم فلما رأته خرت عند رجليه قائلة كما قالت مرثا وكانوا قد ذهبوا الى عند القبر للبكاء، فلما رآها تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون « انزعج بالروح واضطرب » وقال « أين وضعتموه؟ » فدلوه عليه فبكى وانزعج في نفسه وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليه حجر، فأمر برفع الحجر فرفعوه « ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : ايها الاب أشكرك لانك سمعت لي ، وأنا علمت انك في كل حين تسمع لي ، ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك أرسلتني » ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم « لعازر : هلم خارجا » فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطتان بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب . اهـ ملخصاً من الفصل (١١) من انجيل يوحنا

أتدري أيها القارئ ، ما يقول منكرو العجائب والآيات في هذه القصة على تقدير صحة الرواية ؟ انني سمعت طبيباً سوريا بروتستنتياً يقول انها كانت بتواطؤ بينه وبين حبيبتيه وحبيبه لاقناع اليهود بنبوته . وحاشاه عليه السلام . وانما ننقل هذا لنبين أن النصارى لايستطيعون إقامة البرهان في هذا العصر على نبوة المسيح فضلا عن ألوهيته بهذه الروايات التي تدل على النبوة وتنفي الالوهية ، كما فهم الذين شاهدوها ، لانه ليس لها أسانيد متصلة الى كاتبيها، ولادليل على عصمتهم من الخطأ في روايتها ، دع قول المنكرين باحتمال الاحتيال والتلبيس أو المصادفة فيها أو عدم إياها على تقدير ثبوتها من فلتات الطبيعة

واذا كان اعظمها وهو احياء الميت يحتمل ماذكروا من التأويل فما القول في شفاء المرضى واخراج الشياطين الذي يكثر وقوع مثله في كل زمان و الاطباء كلهم يقولون ان مايدعي العوام من دخول الشياطين في اجساد الناس ماهو الا أمراض عصبية تشفى بالمعالجة او بالوهم و الاعتقاد. ودونها مسألة الخمر والسمك ويبس التينة

آية نبوة محمد عقلية علمية وسائر آياته الكونية

هذا وان مارواه المحدثون بالاسانيد المتصلة تارة وبالمرسلة اخرى من الآيات الكونية التي أكرم الله تعالى بها رسوله محمداً ﷺ هي اكثر من كل مارواه الانجيليون وأبعد عن التأويل، ولم يجعلها برهاناً على صحة الدين ولاأمر بتلقينها للناس

ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها ، لان البشر قد بدؤا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون ، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانعه ، فجعل حجة نبوة خاتم النبيين هي موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظي والمعنوي (كما بيناه في تفسير سورة البقرة) ليربي البشر على الترقي بهذا الاستقلال الى ما هم مستعدون له من الكمال

هذا الفصل بين النبوات الخاصة الماضية والنبوة العامة الباقية ، قد عبر عنه النبي ﷺ بقوله « مامن الانبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » متفق عليه من حديث أبي هريرة (رض)

وقص الله تعالى علينا في كتابه ان المشركين اقترحوا الآيات الكونية (العجائب) على رسوله فاحتج عليهم بالقرآن في جملته وبما فيه من أخبار الرسل والكتب السابقة التي لم يكن يعلمها هو ولاقومه ، وبهدايته وبعلومه وبإعجازه ، وعدم استطاعة احد ولا جماعة ولا العالم كله على الاتيان بمثله (١٧: ٨٨ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)

وأما ما أكرمه الله تعالى به من الآيات الكونية فلم يكن لاقامة الحجة على نبوته ورسالته بل كان من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد كنصرهم على المعتدين عليهم من الكفار الذين يفوقونهم عدداً وعدداً واستعداداً بالسلاح والطعام وناهيك بغزوة بدر والنصر فيها ، ثم بغزوة الاحزاب إذ تألب المشركون واليهود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على المسلمين وأحاطوا بمدينتهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال

من تلك الآيات شفاء المرضى وابصار الاعمى وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل في هذه الغزوة وفي غزوة تبوك كما وقع للمسيح عليه السلام . ومنه تسخير الله السحاب لاسقاء المسلمين وتثبيت أقدامهم التي كانت تسيخ في الرمل ببدر ولم يصب المشركين من غيثها شيء . ومثل ذلك في غزوة تبوك إذ نفد ماء الجيش في الصحراء والحر شديد حتى كانوا يذبحون البعير ويخرجون الفرث من كرشه ليعتصروه ويبلوا به ألسنتهم على قلة الرواحل معهم ، وكان يقل من يجد من عصارته ما يشربه شرباء فقال أبو بكر يا رسول الله ان الله عودك في الدعاء خيرا فادع لنا فرفع يديه فدعا فلم يرجعها حتى كانت السماء قد سكبت لهم ماملأوا ما معهم من الروايا ولم تتجاوز عسكرهم



تأثير العجائب في الافراد والامم

لقد كانت آيات المرسلين حجة على الجاحدين المعاندين استحقوا بجحودها عذاب الله في الدنيا والآخرة ، ولم يؤمن بها ممن شاهدوها إلا المستعدون للايمان بها : ان فرعون وقومه لم يؤمنوا بآيات موسى ، وإن أكثر بني اسرائيل لم يعقلوها وقد اتخذوا العجل وعبدوه بعد رؤيتها . وقال اليهود في المسيح لولا انه رئيس الشياطين لما اخرج الشيطان من الانسان . وقالوا ان ابليس أو بعلزبول يفعل أكبر من فعله ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وقال المنافقون وقد رأوا بأعينهم سحابة واحدة في ابان القيظ قد مطرت عسكر المؤمنين وحده عند دعاء النبي ﷺ : اننا مطرنا بتأثير النوء لا بدعائه .

وقد كان أكثر من آمن بتلك الآيات انما خضعت أعناقهم واستخذت انفسهم لما لا يعقلون له سبباً وقد انطوت الفطرة على أن كل ما لا يعرف له سبب فلا بد أن يكون هو الخالق نفسه ، وكان أضعاف أضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحرة والمشعوذين والدجالين ولا يزالون كذلك وقد نقلوا عن المسيح عليه السلام انه سيأتي بعده مسحاء كذبة وأنبياء كذبة

ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً (متى ٢٤ : ٢٤)
وقد ذكر في قاموس الكتاب المقدس عدداً كثيراً منهم وأسماء بعضهم . وأقول :
ان منهم القادياني الذي ظهر من مسلمي الهند ، وتذكر صحف الأخبار ظهور هندي
آخر يريد اظهار عجائبه في أمريكا في هذا العام وتقلوا عن المسيح أنه قال: « الحق
اقول لكم ليس كل نبي مقبولا في وطنه » وجعل القاعدة لمعرفة النبي الصادق تأثير
هدايته في الناس لا الآيات والعجائب فقال « من ثمارهم تعرفونهم » ولم يظهر
بعده ـ ولا قبله ـ نبي كانت ثماره الطيبة في هداية البشر كثمار محمد ﷺ
ولا أحد يصدق عليه قوله في انجيل يوحنا (١٦ : ١٢ ان لي أمورا كثيرة أيضا
ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك (أي البارقليط) روح الحق
فهو يرشدكم الى جميع الحق) الخ وما جاء بعده أي أرشد الناس الى جميع الحق في
الدين من توحيد و[illegible] الله وخاتم النبيين

ومن استقرأ تواريخ الامم [illegible] أهل الملل المختلفة أكثر اعتقادا على العجائب
من أهل الاديان السماوية ، ورأى الجميع ينقلون منها عن معتقديهم من الاولياء
والقديسين ، اكثر مما نقلوا عن الانبياء المرسلين ، وان اكثر المصدقين بها من الخرافيين

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ثبوت نبوة محمد بنفسها واثباتها لغيرها

وجملة القول ان نبوة محمد ﷺ قد ثبتت بنفسها ، أي بالبرهان العلمي والعقلي
الذي لاريب فيه لا بالآيات والعجائب الكونية ، وان هذا البرهان قائم ماثل للعقول
والحواس في كل زمان ، وانه لا يمكن اثبات آيات النبيين السابقين إلا بثبوت نبوته
ﷺ وهذا القرآن الذي جاء به ، فالحجة الوحيدة عليها في هذا الطور العلمي الاستقلالي
من اطوار النوع البشري هو شهادته لها . فان الكتب التي نقلتها لا يمكن اثبات
عزوها الى من عزيت اليهم ، اذ لا يوجد نسخ منها منقولة عنهم تواترا باللغات التي
كتبوها بها ، ولا يمكن إثبات عصمتهم من الخطأ فيما كتبوه على اختلافه وتناقضه ،

وتعارضه ، ولا اثبات صحة التراجم التي نقلت بها ، كما قلنا آنفاً وبيناه بالتفصيل مرارا

الكتاب الالهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي تواترا عمن جاء به بطريقي الحفظ والكتابة معا هو القرآن ، والنبي الوحيد الذي نقل تاريخه بالروايات المتصلة الاسانيد حفظا وكتابة هو محمد (ص) فالدين الوحيد الذي يمكن العلماء المستقلين في الفهم والرأي ان يعقلوه ويبنوا عليه حكمهم هو الاسلام . وأما خلاصة ما يمكن الاعتراف به من الاديان السابقة لثبوت قضاياه الاجمالية بالتواتر المعنوي ، فهو انه وجد في جميع امم الحضارة القديمة دعاة الى عبادة الله تعالى والى العمل الصالح والى ترك الشرور والرذائل منهم انبياء مبلغون عن الله تعالى مبشرين ومنذرين ، كما انه وجد فيهم حكماء يبنون ارشادهم على الاجتماع بما ينفع الناس ويضرهم بحكم العقل والتجربة ـ ووجد في جميع ما نقل عن الفريقين أمور مخالفة للعقل ولما ينفع الناس من الاعمال ، وخرافات ينكرها العقل وينقضها العلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واذ كان الاسلام هو الدين الوحيد الذي عرفت حقيقته وتاريخه بالتفصيل فانا نذكر هنا شبهة علماء الافرنج الماديين ومقلدتهم عليه ، بمقدمة في شهادتهم الاجمالية له ، تمهيداً لدحض الشبهة ، ونهوض الحجة ، فنقول :

(درس علماء الافرنج للسيرة المحمدية وشهادتهم بصدقه ﷺ)

درس علماء الافرنج تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده على طريقتهم في النقد والتحليل ، ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلوها فليا ونقشوها بالمناقيش ، وقرؤا القرآن بلغته وقرؤا ما ترجمه به أقوامهم ، وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد ، وتاريخ الأديان ولا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية ، وما كتبه المتعصبون للكنيسة من الافتراء على الاسلام والنبي والقرآن مما أشرنا إلى بعضه آنفاً ، فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية :

﴿ ان محمداً كان سليم الفطرة ، كامل العقل ، كريم الاخلاق ، صادق ﴾
﴿ الحديث ، عفيف النفس ، قنوعا بالقليل من الرزق ، غير طموع بالمال ولا ﴾
﴿ جنوح الى الملك ، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر ، والمباراة في تحبير ﴾
﴿ الخطب وقرض الشعر ، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات ﴾
﴿ الوثنية ، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية ، كالخمر والميسر ﴾
﴿ وأكل أموال الناس بالباطل ، وبهذا كله وبما ثبت من سيرته وبقينه بعد ﴾
﴿ النبوة جزموا بانه كان صادقا فيما ادعاه بعد استكمال الأربعين من سنه من ﴾
﴿ رؤية ملك الوحي ، واقرائه اياه هذا القرآن ، وإنبائه بأنه رسول من الله ﴾
﴿ لهداية قومه فسائر الناس ﴾

وزادهم ثقة بصدقه أن كان أول الناس ايمانا به واهتداء بنبوته أعلمهم بدخيلة أمره ، وأولهم زوجه خديجة المشهورة بالعقل والنبل والفضيلة ، ومولاه زيد بن حارثة الذي اختار أن يكون عبداً له على أن يلحق بأبيه وأهل بيته ويكون معهم حراً ، ثم أن كان الذين آمنوا به من أعظم العرب حرية واستقلالا في الرأي ولا سيما أبي بكر وعمر

فاما المؤمنون بالله وملائكته وبان للبشر أرواحا خالدة من هؤلاء الافرنج فقد آمنوا بنبوة محمد ﷺ على علم وبرهان ، وهم يزيدون عاما بعد عام ، بقدر ما يتاح لهم من العلم بالاسلام ، وأما الماديون فلم يكن لهم بد من تفسير لهذه الحادثة أو الظاهرة التي لاريب في صحتها وثبوتها ، وبتصويرها بالصورة العلمية التي يقبلها العقل ، الذي لا يؤمن بما وراء المادة أو الطبيعة من عالم الغيب

قدحوا زناد الفكر ، واستوروا به نظريات الفلسفة ، فلاح لهم منه سقط أبصروا في ضوئه الضئيل الصورة الخيالية التي أجملها الاستاذ مونتيه في عبارته التي نقلناها عنه آنفاً وفصلها أميل درمنغام وغيره بما نشرحه هنا .

(للفصل بقية)

نهضة جديدة لاحياء لغة الاسلام العربية

في البلاد الهندية

لعل صاحب هذه المجلة (المنار) أول من فطن في هذا القرن لما غفل عنه المسلمون منذ بضعة قرون من كون الاسلام قد جعل اللغة العربية لغة لجميع المسلمين بالتبع لدينهم الذي هو كتاب الله المنزل بلسان عربي مبين ، وسنة رسوله العربي الكريم ، وان هذا أمر مجمع عليه بين المسلمين وجرى الخلفاء الراشدون والامويون والعباسيون على تنفيذه في جميع الشعوب غير العربية الى أن قوي الاعاجم وصار لهم دول تتعصب للغاتها وترجحها على لغة دينها بجهل ملوكها وحكامها بحقيقة الاسلام وبنائه على أساس الوحدة الدينية والاجتماعية والسياسية التي تحقق إخوة الاسلام وكون أهله أمة واحدة لا يفرق بينهم جنس ولا وطن ولا لغة

دعونا المسلمين إلى احياء لغة دينهم منذ عشرات السنين وكان أكبر أملنا في إجابة هذه الدعوة من قبل الشعوب الأعجمية الشعب الهندي لأن تمسكه بلغته الاوردية ليس مقترنا بعصبية دولية كعصبية الفرس والترك بل عصبيته الاسلامية أقوى من كل عصبية ، وانما كان جعله التعليم العام بلغته الوطنية وجعله العربية لغة علماء الدين فقط لاسباب عارضة لامحل هنا لبسطها ، وطالما كان العلماء والزعماء منهم الذين كنت ألقاهم بمصر في وجوب احياء اللغة العربية في بلادهم فيعترفون بالوجوب ويعتذرون بالعجز عن أداء هذا الواجب

ولما زرت الهند في سنة ١٣٣٠ إجابة لدعوة جمعية ندوة العلماء لرياسة مؤتمرها العام كان كثيراً منهم في هذا الواجب ونوهت به في بعض الخطب العامة التي ألقيتها في معاهد العلم ولاسيما مدرسة ديوبند العليا فرأيت منهم قبولا وارتياحا

وأبشر العالم الاسلامي اليوم بأنه قد وصل الينا قبل اتمام تحرير هذا الجزء من المنار (الذي تأخر صدوره عن وقته ليصدر مع الذي بعده) مجلة عربية أنشئت في لكهنو مركز ندوة العلماء باسم (الضياء) لأجل هذا الغرض وجعلت تحت اشراف صديقينا الاستاذين الجليلين العلامة السيد سليمان الندوي والعلامة الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي - فاننا نعجل بنشر فاتحتها الأولى في هذا الجزء ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

طلوع الضياء

(بقلم العلامة الجليل الاستاذ السيد سليمان الندوي رئيس دار المصنفين)

باسمك اللهم نفتتح وبك نستعين ، فنعم الفاتح أنت ونعم المعين ، فاشرح لنا ربنا صدورنا ، ويسر لنا أمورنا (واهدنا) سبيل الرشاد ، وألهمنا طريق السداد ، واحلل عقدة من لساننا ليفقهوا قولنا ، وصلِّ وسلم على النبي العربي الامين ، الذي انزل عليه الكتاب بلسان عربي مبين

(وبعد) فللاسلام مزايا تفوت الاحصاء دررها ، وتستغني عن الانباء غررها ، إحداها أنه دين وحدة الشعوب والامم ، ودين مؤاخاة البشر ، والنصيحة لعامة الصالحين – [illegible] أن جعل للمؤمنين بقرآنه ، والخاضعين [illegible] وجنسياتهم وألوانهم لغة خاصة وهي لغة كتابه المنزل من السماء ، يتفاهمون بها معاني القلوب ، ويتعارفون بها (١) هواجس الافكار ، ويخاطب بعضهم بها مودة بعض ، فهي على تقلب من الاحوال لغة عصبة الامم الاسلامية منذ قرون وأجيال

قد رأى الآن رجال من نصارى الافرنج في حلمهم أن يدعوا اممهم الى الوحدة الانسانية ، والمودة البشرية ، فأحدثوا لغة واحدة يسهل عليهم أخذها ، يتحادثوا (؟) بها الاقوام ، ويتنادوا (؟) بها الى الالتحام ، ولكن أولي النهى ممن يرون العواقب وأي المعين يفتون أن لا بقاء للغة إلا اذا كانت لها دعائم من الدين والسياسة ينتصب لها ذووها ، ويسعى لها بنوها ، وان الاسلام قد قضى وطره منها منذ خلق ، فجعل لأممه المنتشرة في أكناف الارض مشارقها ومغاربها لغة تعم أطرافها ، وتضم أشتاتها ، وهي لغة نبيها المصطفى ، ودينها المرتضى ، وكتابها المنتقى ، وهي لغة علومهم وآدابهم وحضاراتهم ، ولها أهل يحمون حوضها ،

(١) المنار : تعارف الناس عرف بعضهم بعضا وهو لازم كما في التنزيل

ويذبون عن حماها ، فهي تبقى معهم معها بقوا ، وترحل معهم أينما رحلوا ، وتحل معهم بأي ارض حلوا ، وهي تجمع بين دفتيها دفاتر أربعة عشر قرنا ، فيها الدين والشرع ، والرواية والاثر ، والتاريخ والخبر ، والشعر والادب ، والجد واللعب ، لم بين طرفيها شمث ما تركه سلفهم ، وكسبه خلفهم ، وما جادت به طباعهم ، وفاضت به ينابيعهم (٢) وفاحت به مجامعهم ، وزرعته أقلامهم ، وحصدته أقلامهم ، وما أبدعوا من أنواع الطرف ، وما أودعوا من أوراق الصحف ، فلنعم هذه كنز خير لم لا يفنى ، وثوب فخر لم لا يبلى

لا تكاد تجد قرية احتلها المسلمون من بلاد الارض إلا وفيها رجال ينطقون بالضاد ويتغنون بالقرآن ، ويفهمون لغة قريش ، ويتدارسون آداب العرب ، وإن كانت في لسانهم عقدة ، وفي بيانهم عجمة ، هذه بلادنا الهند فيها نحو (من) ثمانين مليوناً من المسلمين ، وفيها نحو (من) مليون ممن يفهم لغة القرآن ويعرفها ، وإن لم تكن لم قدرة على التكلم [illegible] من صغارها و كبارها ، وطلبة العربية فيها نحو (من) مائة ألف أو يزيدون ، ولا تجد واحداً من أصقاع الهند يعرف ببلاد بنغال يضم بين جناحيه ستين ألفا من طلبة العلوم العربية وتلامذتها ، وتجد في مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مائة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة أثراها مدرسة جامع فتحبوري ، وأعمرها المدرسة الامينية ، وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في ديوبند أكثر من خمسمائة طالب تدر على أكثرهم المدرسة رواتب شهرية تفي بمآكلهم وملابسهم ، ودع هنك دار علومنا التي قامت بتأسيسها ندوة العلماء بلكنؤ فهي أحدثها عمرا ، ولكل منها من المزايا ما لا يخفى على ذي عينين

وعلى ذلك مايؤلمنا ذكره ، ويشوكنا نشره ، إن هؤلاء الجم الغفير ، والعدد الوفير ، اكثرهم بكم عن التكلم (؟) باللغة العربية ، ولم عي عن الكتابة البديعة السلسة المنسجمة ، فضلا عن الخطابة فيها مرتجلين ، وليست كتابتهم إلا في أمور طفيفة من الفقه ، أو أبحاث سمجة في المنطق ، تمجها الآذان ، ولا تسمن ولا تغني من جوع العلم ، وتنبو طباعهم عما تنشره الصحف والمجلات الاردية ، فلا يقرؤنها فيستفيدوا

فيحرمون من حظ وافر من العلم الذي يتزايد أمره كل يوم ، وينمو شأنه كل صباح ومساء ، وزادك (؟) أسفا لو رأيت مناهج دروسهم العقيمة ، وما فيها من الكتب السقيمة ، ذات الاساليب الرميمة

وأول من تنبه لسد هذا الخلل ، وملافاة هذا الخطأ ، دار العلوم التي أسستها ندوة العلماء بلكناؤ ، فافرغت جهدها في تعليم اللغة العربية قديمها وحديثها كتابة وخطابة ، وزادت في قائمة درسها كتب الادباء المجيدين ، من السلف الكرام المجيدين ، الذين كتبهم ينبوع الأدب ، ومادة لغة العرب ، مثل مصنفات ابن قتيبة الدينوري ، وعبد القاهر الجرجاني ، وقدامة بن جعفر البغدادي ، وأبي الهلال العسكري ، وجاحظ البصري ، واستبدلت دواوين قدماء الشعراء بما تكلفته خواطر المحدثين المتأخرين بعد القرن الرابع

ثم وضعت بعض كتب ابتدائية لدرس المبتدئين وألفت معجما جديدا يضمن شرح الكلمات [illegible] الجرائد والمجلات العربية ، وعينت معلما خاصا لتعليم [illegible] فيها

وآثرت لتعليم الآداب العربية رجالا معروفين من العرب أنفسهم لكون اللغة لهم طبعا وذوقا ، ولنا تكلفا وتصنعا ، فأسندت أولا رياسة أساتذة اللغة العربية الى الاستاذ العلامة الشيخ محمد طيب المكي ، ثم إلى الاستاذ الفاضل الكامل الشيخ محمد بن حسين الخزرجي اليماني رحمهما الله تعالى ، وأخيرا يملأ هذا الفراغ فيها صديقنا الاستاذ الكبير الشيخ تقي الدين الهلالي المغربي

وقد كان لمساعيها دوي في سائر أندية المدارس العربية ، وأخذت تبذل ما في وسعها من الجهد في مباراتها ، والحق أحق أن يقال ، إنه بعد ما تملك صديقنا العزيز ، ورفيقنا في طلب العلم ، ورديفنا في تلقي الدروس ، وشريكنا في الشيوخ وأولنا في الجمع بين علوم الشرق والغرب ، الشيخ ضياء الحسن العلوي الندوي (م ، ع) زمام تفتيش المدارس العربية ورياسة امتحاناتها في ولايتنا البلاد المتحدة صار لهذه المدارس العربية وامتحاناتها في العلوم الشرقية طور آخر ، ودور زاه زاهر ، فانه أدخل فيها تعديلات نافعة ، واتخذ لاصلاح أمرها تدبيرات ناجعة

تجعلها منسقة النظم ، ومتحدة النظام ، وانتقى لها مناهج درس ، وقوائم كتب ، تضمن بالنجاح ، وتؤذن بالفلاح ، تجعل فيها للأدب العرب محلا يليق به ، وألزم متعلمي المدارس العربية الكتابة وإنشاء المقالات بالعربية

وكذلك فعلت رياسة المدارس العربية في ولاية بنجاب فجعلت الكتابة والانشاء بالعربية من مواد امتحاناتها الشرقية التي لا غنى عنها لطالب

وتلتها الجوامع الانكليزية الرسمية ، فانها أدخلت تحسينات نافعة في فرعها العربي بأيدي أساتذة فضلاء دكاترة في العلوم العربية نالوا شهادة الدكتورية من جوامع ألمانيا وانكلترة ، ولهم يد بيضاء في استبدال المناهج الجديدة المفيدة بالمناهج القديمة العقيمة . وقد أسفرت مساعيهم عن نتائج ذات بال ، وللجامعتي لاهور ودهاكة خطوة في هذا السبيل بعيدة الشوط [illegible] وتبعتهما جوامع اله آباد ولكنئو وبتنة وكلكته ، واهتمت بها من المعاهد العربية التي للحكومة الكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى [illegible]

وأشد الجوامع الانكليزية اعتناء باللغة العربية جامعة دهاكه ، فانها خصصت لها قاعة درس تدرس فيها اللغة العربية وعلومها مع بعض العلوم الجديدة واللغة الانكليزية ، وتمنح الناجحين فيها شهادة تؤهلهم للدخول في كل ما يمكن الدخول (فيه) للناجحين في العلوم الانكليزية المحضة من الوظائف والمناصب . أما جامعتنا الاسلامية بعليكرة فارادت أن تقتفي أثر جامعة دهاكه في جعل العربية وآدابها فرعا لها خاصاً فقررت لجنة لتحقيق أمنيتها ، ونيل بغيتها ، وعسى أن تأتي بالريد كره وعمل يشكر ، وأما الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن فهي أكثر الجوامع انفاقا على فرعها العربي وأشدها اهتماما بأمره ، واكراما للناجحين في علومه وآدابه ، وأسخاها منحاً بالمناصب والوظائف لهم

هذا ــ ولكن هذه الاموال المنفقة ، والجهود المفرغة ، تكاد أن تذهب سدى ، ولا تأتي بجدوى ، لان جو الهند غير عربي ، يكدر فضاءها زعازع هوجاء من العلوم الافرنجية ، والآداب الانكليزية ، فتحدق بالطلبة الصحف الاردية ، والجرائد والمجلات الانكليزية ، وترد عليهم النشرات الاردية والانكليزية

تترى ، فلا تدع لهم جانباً قارئاً العربية ، فلا تجد الهند صحيفة عربية يقرءونها ولو مرة في الشهر ، ويكتبون فيها ولو مرة في السنة ، فيتمرنوا في الانشاء العربي ويحذقوا فيه ويسهل عليهم الكتابة في اللغة العربية ويستطيعوا ابداء المعاني العلمية غير الخيالية التي يقرءونها في الكتب ، فيخيل اليهم من سحرها أنهم في جيل غير جيلهم ، ويقتدروا على إبراز المعاني المستحدثة في طراف حلل تسر الناظرين ، وتجري أقلامهم في نقد السياسة والاخلاق ونشر التربية والتعليم ، وسرد الانباء والحوادث ، وقرض الشعر ونسج الادب ، ويضربوا بسهم نافذ في معرفة الآداب العربية المستطرفة المستظرفة ، ويتمكنوا من الخوض في كل موضوع ، والاستشراف(؟) من كل حوض ، وتكون لهم صلات متواصلة بالبلاد العربية ، فتقوى بها بينهم وسائل التعارف والتداني ، ووسائط التصافح والتصافي ، ولا تغني عنهم الجرائد والمجلات العربية التي تجلب من البلاد الاجنبية ، لبعد شقتها ، وغلاء أثمانها ، واختلافها [illegible] العربية [illegible] ، فأنى لهم التناوش من مكان بعيد؟)

فذلك مادعانا الى اصدار مجلة عربية ، واضطرنا أن نتحمل هذا العبء الثقيل ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ولقد ألقينا بايدينا إلى التهلكة ، ونصبنا أنفسنا غرضاً لسهام الحوادث ، ونعلم ما أصاب إخواننا السابقين من خيبة المسعى وكبوة القدح فكان أحد سلفنا رحمه الله أصدر جريدة الرياض فظهرت وزهرت ، ثم تقلبت بها الرياح ، فأصابها أعصار من نار الفقر فاحترقت ، وتلتها مجلة البيان ، فقضت من عمرها سنين ثم أناخ الدهر عليها بكلاكله ، فخرست(١) عن النطق ، ثم جاءت على فترة من رسل الكلام ، الجامعة لابي الكلام ، فلم تبلغ أشدها حتى دهاها ما فرق جمعها ، وشتت لمها ، فذهبت مساعيها أدراج الرياح ، وغيرها من الصحف العربية التي لم ترزق الحياة إلا لشهر أو شهرين ، فنخشى علينا ما أصابهم من خيبة الامل ، وقرب الاجل •

(١) في الاصل خرصت بالصاد وهو من غلط الطبع . وخرس لازم ومعناه العجز عن النطق فقوله عن النطق تفسير أو تضمين لمعنى العجز

وليس لدينا قوة لنقتحم بها هذه العقبات الا التوكل على الرحمن، ولا من زاد لهذا السفر الشاسع الا الثقة بنصر من الخلان، ولا من بضاعة لهذه التجارة الكاسدة، الا حسن الظن بناصري العربية في هذه البلدان، فمن أحسن الينا فأجره على الله ان الله يحب المحسنين

وليحتسب حماة العربية في الهند أن خلو جوها من صوت صحيفة عربية عار لهم غير ظاهر (؟) فكم من لغات ميتة تدون لها في هذه البلاد ألسنة حال تنطق، وعيون حياة لها تتدفق، وما ذلك إلا بناصر من الدعاية، وهاجس في صدورهم يحس بفرض الكفاية، وكم من بلاد مثل أمريكة فيها جالية من العرب يقل عددهم عن عارفي اللغة العربية في الهند، ولهم صحف سائرة، فالرجاء من القائمين بالمعاهد العربية ومدرسيها الكرام، وأساتذتها الفخام، وتلاميذها النجباء ومحبيها الاخيار، ان يأخذوا بأيدينا، وينصروا من ليس له قوة ولا ناصر، (وما النصر إلا من عند الله وهو العزيز الحكيم)

وليعلم أن المجلة مواد بحثها ومواضيعها لا تنحصر في علوم الدين وفنون العلم وآداب اللغة وطرق التربية والتعليم وما يناسبها من المسائل والاخبار، وأنها لا تعزو نفسها إلى معهد دون معهد و(لا) تتعصب لاحد على أحد، بل هي لسان حال المعاهد العربية كلها في هذه الديار

ونرجو أساتذة لغة العرب، وجهابذة نقد الادب، ولاسيا أمراء القول من العرب، ومالكي أزمة البيان منهم أن يسبلوا علينا ذيل الستر، ويغضوا علينا بغض البصر؛ فلسنا إلا متطفلين على ما ئدتهم، ومتكففين لرفادتهم، والحمد لله أولا وآخراً وظاهراً وباطناً.

[المنار] نرحب بأختنا مجلة الضياء، ونرجو أن نرى منها خير مدد نوري للمنار، ونحث قراء العربية في كل مكان على الاشتراك فيها وإمدادها بالمساعدة المالية والقلمية، ونوجه عناية صديقينا الندويين المشرفين على المجلة بان يبذلا كل العناية لتصحيحها فانا رأينا في الجزء الاول أغلاطا اكثرها من غلط الطبع، في مثل هذا المقام، ويغتفر في الابتداء ما لا يغتفر في الدوام، وسنعود الى تقريظها والنقل عنها ان شاء الله

نداء للجنس اللطيف

يوم المولد النبوي الشريف

(في حقوق النساء في الاسلام، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام)

نشرنا في جزء المنار الماضي ما اقترحته علينا لجنة (ذكرى يوم النبي) في لاهور الهند من كتابة رسالة في هذا الموضوع، لاجل ترجمتها بأشهر لغات العالم المدني ونشرها في يوم المولد من سنة ١٣٥١ - وانا قد شرعنا في كتابتها في شهر ذي الحجة الذي صدر الجزء الرابع من المنار في آخره

وأقول الآن إني لما شرعت في كتابة الرسالة توخيت فيها الاختصار، وفاقا لاقتراح لجنة لاهور في كتاب [illegible] أرسلت ثلاث كراسات (ملازم) منها بالبريد الجوي في رابع المحرم [illegible] أخرى في الحادي عشر منه، وبثالثة في ١٨ منه، ولما لم يرد إلي جواب من اللجنة رجح عندي انها لن تتمكن من ترجمتها ونشرها في يوم مولد هذا العام، وكان عرض لي أن أبسط بعض المسائل ولا سيما مسألة تعدد الزوجات، وحكمة كثرة أزواج النبي ﷺ بأكثر مما تطلبه اللجنة على أن أختصر الرسالة لها إذا أرادت ترجمتها لسنة أخرى

بيد أني رأيت أن أنشر الرسالة كلها في المنار، ثم أطبعها على حدة وأنشرها في يوم المولد الشريف من هذا العام، مشاركة لاخواننا مسلمي الهند في إحياء هذه الذكرى ببيان ما اشتدت اليه حاجة هذا العصر من بيان الاصلاح الاسلامي العام للبشر، الذي يعلم به أن محمداً ﷺ بعث رحمة للعالمين، ومكملا لدين الله على ألسنة النبيين والمرسلين، ومصلحا لما أفسده البشر من الاديان والشرائع وشؤون الاجتماع البشري كلها. وهذا نص الرسالة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وخاتم النبيين ، الذي ارسله لاصلاح جميع البشر في أمور دينهم ودنياهم ، وازالة التعادي والتناكر بين شعوبهم وقبائلهم بالتعارف والتآلف بينهم ، وإثبات المساواة في الحقوق والاحكام بين اجناسهم ، وأفراد رجالهم ونسائهم ، على اختلاف عروقهم وألوانهم ، وبقاعهم واقطارهم ، ومنع التمايز بين الطبقات والمشائر بالانساب والتقاليد العرفية أو الوراثية ، وتحقيق التوحيد بينهم في جميع المقومات الانسانية ، والاخوة الروحية ، والتفاضل بالفضائل النفسية ، من علمية وعملية ، فقال عز وجل (١٣:٤٩ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

أما بعد فيقول محمد رشيد آل رضا الحسيني الحسني منشىء مجلة المنار الاسلامي ، ومؤلف التفسير السلفي العصري الأثري السياسي الاجتماعي في مصر القاهرة : إن الجماعة التي تألفت من اخواننا مسلمي الهند في مدينة لاهور لاذاعة سيرة رسول الانسانية الاعظم ، وهديه وإصلاحه الاقوم ، وخصصت لذلك يوم مولده من كل سنة ، قد اقترحت علي ان اكتب رسالة في أهم ما جاء في كتاب الله تعالى المنزل عليه وفي سنته المبينة له من حقوق النساء ، والاصلاح الذي يجب على الجنس اللطيف أن يعرفه في كل شعب ويطالب به الرجال ، ليترجم باللغات المشهورة وينشر في الآفاق في يوم ذكرى مولده ﷺ من سنة ١٣٥١ لهجرته الشريفة

فقبلت الاقتراح ، وأجبت الدعوة بالارتياح ، شاكرا لاخواني تفضلهم عليّ واختصاصهم إياي ببيان هذا الواجب الكفائي العظيم ، داعيا أن يلهمني الله تعالى فيه الصواب ، ويؤتيني الحكمة وفصل الخطاب ، وقد استحسنت أن ابدأ ما أكتب بنداء عام للنساء ، ليعرفن حقوقهن ويعرفها الرجال ، فأقول :

نداء للجنس اللطيف

يوم ذكرى المولد المحمدي الشريف من سنة ١٣٥١

في

﴿ حقوق النساء في الاسلام ، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام ﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(سورة الروم ٣٠ : ٢١)

ألا يامعشر النساء وبنات حواء في الشرق والغرب والجنوب والشمال ، هل تدرين كيف كانت معيشة جداتكن قبل بعثة مصلح البشر الأعظم ، محمد النبي الامي (ص) ؟ أم تدرين أن البشر لم يفقهوا كنه الاقانيم الثلاثة للحياة الزوجية التي نزل بيانها من لدن رب العالمين ، على قلب محمد خاتم النبيين . أعني السكون النفسي الجنسي الذي يتحد به الزوجان فيكونان حقيقة واحدة كالماء والهواء — والمودة التي تتعدى الزوجين الى أسرتيهما فيسري بها الحب والتعاون من الاقارب إلى البعداء ، والرحمة التي تكمل لهما بالولد المنفصل منهما الممثل لهما فينتشر التراحم بين الاحياء ؟

تعالين أحدثكن عما كانت عليه جداتكن بالاجمال ، وبما جاء به محمد (ص) بشيء من التفصيل : لقد كان جميع نساء البشر ، مرهقات بظلم الرجال في البدو والحضر ، لا فرق فيه بين الاميين والمتعلمين ، ولا بين الوثنيين والكتابيين

كانت المرأة تشترى وتباع ، كالبهيمة والمتاع ، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء ، وكانت تورث ولاترث ، وكانت تملك ولاتملك ، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون اذن الرجل ، وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بما لها من دونها ، وقد اختلف الرجال في بعض البلاد في كونها انسانا ذا نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ؟ وفي كونها تلقن الدين وتصح منها العبادة أم لا ؟

وفي كونها تدخل الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا ؟ فقرر أحد المجامع في رومية انها حيوان نجس لا روح له ولا خلود، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكم فمها كالبعير والكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام . لانها أحبولة الشيطان ، وكانت اعظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته ، وكان بعض العرب يرون أن للاب الحق في قتل بنته بل في وأدها «دفنها حية» أيضا . وكان منهم من يرى أنه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية

وكان أم إنصاف للمرأة منحها إياه الشعب الفرنسي في أوربة بعد ميلاد محمد (ص) وقبل بعثته ان قرروا بعد خلاف وجدال أن المرأة انسان إلا انها خلقت لخدمة الرجل

ولد محمد (ص) في سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام ، وأصدر الفرنسيس هذا القرار النسوي في سنة ٥٨٦ أي بعد مولده بخمس عشرة سنة ولم يكن يدري هو ولا غيره بما سيجيء به من الاصلاح البشري العام ، والاصلاح النسوي الخاص

فهل أنا لكن يا بنات حواء أنبأ ما جاء محمد نبي الرحمة من التعاليم في حقكن ؟ هذا ما اقترح علي ان أقصه عليكن وعلى رجال الأمم كلها في هذه الرسالة في هذا اليوم من ذكرى مولد محمد (ص) [illegible]

بعث محمد (ص) في أوائل القرن السابع للمسيح عليه السلام مبشرا ونذيراً للبشر كافة يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وإلى اصلاح أنفسهم التي أفسدتها التقاليد الدينية، والعصبيات القومية والوطنية، وكان للنساء حظ كبير من هذا الاصلاح لم يسبق الاسلام به دين ، ولم يبلغ شأوه تشريع ، ودونكن التفصيل :

١-المرأة انسان هي شقيقة الرجل

قام محمد (ص) يتلو على البشر آيات الله عز وجل في كون النساء والرجال من جنس واحد ، لا قوام للانسانية إلا بهما وهذه أربع شهادات منها:

(١٣:٤٩) ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(٤ : ١) يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً)

(٧ : ١٨٨ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)

(١٦ : ٧٢ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً)

وكان ﷺ يقول: « انما النساء شقائق الرجال »[1]

٢ ـ ايمان النساء كالرجال

قام محمد (ص) يتلو على الناس ما أثبته الله تعالى من إيمان النساء كالرجال، فمن ذلك قوله تعالى (٦٠ : ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) الآية

ومنه قوله تعالى (٣٣ : ٥٨ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)

وقوله (٨٥ : ١٠ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ)

وأخبرهم بان الله تعالى أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعا بقوله (٤٧ : ١٩ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)

(١) رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين والبزار عن أنس

ومن المجمع عليه المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان على النساء ما على الرجال من أركان الاسلام الا ان الصلاة تسقط عن المرأة في زمن الحيض والنفاس مطلقا فتتركها ولا تعيدها لكثرتها، وأما الصيام فيسقط عنها في زمنهما وتقضي ما أفطرته من أيام رمضان لقلتها، وأما حجها فيصح في كل حال ولكنها لا تطوف بالبيت الحرام إلا وهي طاهرة

٣ — جزاء المؤمنات في الآخرة كالمؤمنين

وقام يتلو على العالم في جزاء المؤمنات كالمؤمنين آيات من الله تعالى منها قوله تعالى (١٦: ٩٧ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

وقوله تعالى (٤٠: ٤١ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)

وقوله تعالى (٤: ١٢٣ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٤) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)

وقوله تعالى في أولي الالباب الذين يذكرونه كثيرا و يتفكرون في خلق السموات والارض و يدعونه (٣: ١٩٥ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) الآية، وفيها وعدهم جميعا بادخالهم الجنة وحسن الثواب

وقوله تعالى (٣٣ : ٣٥ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَٰتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْقَٰنِتَٰتِ وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

وقوله (٩ : ٧٢ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ – مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية

(والاعمال الاجتماعية والسياسية)

النساء يشاركن الرجال في العبادات الاجتماعية كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين فتشرع لهن ولكن لا تجب عليهن تخفيفا عليهن، وصح ان النبي (ص) أذن للحيض (*) منهن بحضور اجتماع العيد في المصلى دون صلاته، وعبادة الحج الاجتماعية مفروضة عليهن كالرجال كما تقدم ويحرم عليهن وضع النقاب على وجوههن ولبس القفازين في أيديهن مدة الاحرام، وقد شرع لهن من الامور الاجتماعية والسياسية ما هو أكثر من ذلك

قال الله تعالى (٩ : ٧١ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ

(*) الحيض بتشديد الياء جمع حائض، ومصلى العيد كان خارج البلد

وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فأثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الاخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي، وولاية النصرة الحربية والسياسية، إلا أن الشريعة أسقطت عن النساء وجوب القتال بالفعل، فكان نساء النبي وأصحابه يخرجن في الغزوات مع الرجال يسقين الماء، ويجهزن الطعام، ويضمدن الجراح، ويحرضن على القتال. وقد ثبت في الصحيح ان بنت رسول الله (ص) فاطمة عليها السلام كانت تحمل قرب الماء هي وأم سليم وغيرها الى الجرحى في غزوة أحد يسقينهم ويغسلن جراحهم. ولما جرح رسول الله (ص) تولت فاطمة غسل جرحه وتضميده.

٥ — (أمان المرأة للحربيين)

ومن حقوق المرأة السياسية في الاسلام انها اذا أجارت أو أمنت أحدا من الاعداء المحاربين نفذ ذلك، فقد أجاز النبي (ص) ... عن أم هانئ بنت أبي طالب يوم فتح مكة: اني أجرت رجلين من أحمائي، فقال (ص) «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ» وهذا حديث صحيح متفق عليه، وفي بعض الروايات أنها أجارت رجلا فأراد أخوها علي كرم الله وجهه قتله فشكته الى النبي (ص) فأشكاها وأجاز جوارها. وفي حديث حسن عند الترمذي عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال « إن المرأة لتأخذ للقوم » يعني تجير على المسلمين اه وفي معناه عن عائشة أم المؤمنين قالت: إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز. ونقل ابن المنذر ان المسلمين أجمعوا على صحة اجارة المرأة وأمانها

٦ (أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر)

وما في الآية من فرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على النساء كالرجال يدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة، ويدخل فيه الانتقاد على الحكام من الخلفاء والملوك والامراء فمن دونهم، وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به

رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تغالي الناس في مهور النساء حين اتسعت دنياهم في عصره فخاف عاقبة ذلك وهو مايشكو منه الناس منذ عصور، فنهى الناس أن يزيدوا فيها على أربعمائة درهم فاعترضته امرأة من قريش فقالت أما سمعت ما أنزل الله يقول (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) فقال اللهم غفراً، كل الناس أفقه من عمر. وفي رواية انه قال: امرأة أصابت وأخطأ عمر. وصعد المنبر وأعلن رجوعه عن قوله

٧ — مبايعة النبي ﷺ للنساء كالرجال

كان النبي (ص) يبايع الرجال على السمع والطاعة والنصرة وكانت أول بيعة منه لنقباء الانصار في عقبة منى قبل الهجرة على بيعة النساء كما في السيرة ولكن آية بيعة النساء لم تكن نزلت ، وبايعهم البيعة الثانية الكبيرة على منعه ـ أي حمايته ـ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم . وبايع المؤمنين تحت الشجرة في الحديبية على أن لا يفروا من الموت ، سنة ست من الهجرة — وخصت بيعة النساء بذكر نصها في سورة الممتحنة وهو قوله تعالى (٦٠ : ١٢ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

نزلت يوم فتح مكة وبايع النبي (ص) النساء على الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الاسلام والجهاد وكان عمر بن الخطاب يكلمهن عنه وهو واقف أسفل منه

وقد حضرت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان بن حرب بيعة النساء هذه وهي متقنعة متنكرة مع النساء لئلا يعرفها رسول الله (ص) وهي التي كانت أخرجت كبد عمه حمزة (رض) يوم قتل في أحد فمضغتها ولاكتها شماتة وانتقاما. ولكنها كانت تتكلم عند كل جملة . قال رسول الله (ص) « أبايعهن » (على أن لا يشركن بالله شيئا) فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال — وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد — فقال النبي (ص) (ولا يسرقن) فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فلا أدري أيحل لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله (ص) وعرفها فقال لها « وانك لهند بنت عتبة ؟ » قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك، فقال (ولا يزنين) فقالت أو تزني الحرة ؟ فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى

استلقى وتبسم رسول الله (ص) فقال (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) —وهو أن تقذف ولداً على زوجها وليس منه — قالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال (ولا يعصينك في معروف) قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فاقر النسوة بما أخذ عليهن

وكان « ص » يقول لهن عند المبايعة « فيما استطعتن وأطقتن » فيقلن : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا. (أقول) وأية رحمة ويسر في الاسلام أوسع من تقييد الله طاعة رسوله بالمعروف ، وهو لا يأمر الا بالمعروف (ومنه منع عادات الجاهلية في الموتى) ثم تقييد الرسول نفسه ذلك بالاستطاعة والطاقة وفاقا لقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقوله (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج)

وقتل الاولاد يدخل فيه ما كان يفعله بعض العرب من وأد البنات أي دفنهن حيات اتقاء العارهن أن يسبين أو يفجرن، وقتل الصغار لاجل الفقر أو خوف الفقر اذا كبرن ،وقال بعض المفسرين إن منه تعمد المرأة اسقاط جنينها لاي سبب من الاسباب . وأما البهتان الذي أخذ عليهن الا يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فهو ان يلحقن بالرجل ولداً ليس له كما فسر في الحديث — أي ولو لقيطا يلتقطنه فان المرأة تضع طفلها كذلك وهذه الكناية من أبدع كنايات القرآن بلاغة ونزاهة

ثم بايع رسول الله «ص» الرجال بيعة النساء كما في حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه : قال كنا مع رسول الله «ص» في مجلس فقال « تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم — وقرأ الآية التي أخذت على النساء : اذا جاءك المؤمنات — فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وان شاء عذبه »

وروى الامام أحمد ان فاطمة بنت عتبة جاءت تبايع رسول الله (ص) فأخذ عليها« أن لا يشركن بالله شيئا ولا يزنين» الآية فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة : أقري أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا . قالت : فنعم إذاً. فبايعها بالآية

٨ – حقوق النساء في التعليم والتاديب

بين الله تعالى في مواضع من كتابه انه أرسل نبيه محمداً (ص) في الاميين ليخرجهم من الامية فيتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . ومدح العلم في آيات كثيرة ومدحه رسوله في مواضع لا محل لسرد شيء منها هنا ، وقد فسر بعضهم الكتاب في هذه الآيات بصناعة الكتابة لانه في الاصل مصدر كتب ثم اطلق على المكتوب ، وكان النبي يحث اصحابه على تعلم الكتابة وقد أمر الله بها في آية الدين (٢ : ٢٧٢) وقد ثبت من عدة طرق ان الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علمت حفصة بنت عمر أم المؤمنين الكتابة

وقد اشتركت النساء مع الرجال في اقتباس العلم بهداية الاسلام فكان منهن راويات الاحاديث النبوية والآثار ، يروي عنهن الرجال ، والاديبات والشاعرات والمصنفات في العلوم والفنون المختلفة . وكانوا يعلمون جواريهم وقيناتهم كما يعلمون بناتهم

وقد أجمع المسلمون على ان كل ما فرضه الله تعالى على عباده وكل ما ندبهم اليه فالرجال والنساء فيه سواء الا ما استثني مما هو خاص بالنساء لانوثتهن في الطهارة والولادة والحضانة وما رفع عنهن من القتال وغير ذلك مما هو معروف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد بلغ من عناية محمد رسول الله وخاتم النبيين بتعليم النساء وتربيتهن ان ذكر فيمن يؤتيهم الله تعالى أجرهم مرتين يوم القيامة – اي مضاعفاً – قوله « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فاحسن تعليمها ، وأدبها فاحسن تاديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » فقرن ثواب التعليم والتاديب بثواب العتق الذي كان يرغب فيه كثيرا فوق ماشرعه الله تعالى فيه من أسباب تحريره وعتقه . والحديث متفق عليه عن أبي موسى (رض) وله ألفاظ أخرى

وان حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » يشمل المسلمات باتفاق علماء الاسلام وان لم يرد فيه لفظ (ومسلمة) وقد صحح في الجامع الصغير بعض طرقه . وأما متنه فصحيح بالاجماع

وسيأتي في الكلام على أمهات المسلمين ان الغرض الاول من تعددهن ان يكن معلمات للنساء ومفتيات لهن ، بل كان الرجال حتى الخلفاء يرجعون اليهن فيما يشكل عليهم من بعض الاحكام الشرعية ولاسيما السيدة عائشة (رض)

٩ ـ حقوق النساء المالية

قد أبطل الاسلام كل ما كان عليه العرب والعجم من حرمان النساء من التملك، او التضييق عليهن في التصرف بما يملكن، واستبداد أزواج المتزوجات منهن بأموالهن، فاثبت لهن حق الملك بأنواعه والتصرف بأنواعه المشروعة، فشرع الوصية والارث لهن كالرجال وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وان كانت غنية، واعطاهن حق البيع والشراء والاجارة والهبة والصدقة وغير ذلك. ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضي وغيره من الاعمال المشروعة، وان المرأة الفرنسية لاتزال إلى اليوم مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية والعقود القضائية

١٠ ـ حقهن في الميراث

قال الله تعالى في ابطال ظلم الذين كانوا يحرمون النساء من الارث ويجعلونه للرجال خاصة من سورة النساء (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا)

ثم بين نصيب كل وارث من الرجال والنساء في آيات المواريث من هذه السورة (اعني ١٠ـ١٢ و ١١٦) وهي مبنية على قاعدة « للذكر مثل حظ الانثيين » من الآية العاشرة المفصلة في سائر الآيات. وحكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ان الشرع الاسلامي أوجب على الرجل أن ينفق على المرأة. فبهذا يكون نصيب المرأة مساويا لنصيب الرجل تارة وزائداً عليه تارة أخرى باختلاف الاحوال

إذا مات رجل عن ولدين ذكر وأنثى وترك لهما ثلاثة آلاف دينار مثلا كان للذكر ألفان وللانثى الف. فاذا تزوج هو فان عليه أن يعطي امرأته مهراً وان يعد لها مسكنا وأن ينفق عليها من ماله سواء أكانت فقيرة أم غنية، فى هذه الحالة تكون الالفان له ولزوجه، فيكون نصيبه بالفعل مساويا لنصيب أخته أو أقل

منه . ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أمهم منها شيء . وفي هذه الحالة يكون ماله الموروث دون مال أخته . فانها اذا تزوجت كما هو الغالب فانها تأخذ مهرا من زوجها وتكون نفقتها عليه فيمكنها ان تستغل ما ورثته من أبيها وتنميه لنفسها وحدها ، فلو لم يكن للوارثين الا ما يرثونه من أمواتهم لكانت أموال النساء دائما أكثر من أموال الرجال، اذا اتحدت وسائل الاستغلال ، فيكون اعطاؤهن نصف الميراث تفضيلا لهن عليهم في أكثر الاحوال ، إلا أن سببه ان المرأة أضعف من الرجل عن الكسب ، ولها من شواغل الزوجية وما يتصل بها من حمل وولادة ثم من شواغل الامومة ما يصرفها عن الكسب الذي تقدر عليه وهو دون ما يقدر عليه الرجل في الغالب . فمن ثم لم يكن فرض نفقة الزوجية والدار والاولاد على الرجل ظلما له وتفضيلا للمرأة عليه في المعيشة ووجه اعطاء المرأة ما تعطى من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يتح لها الزواج أو مات زوجها ولم يترك لها ما يقوم بأودها، فهو من قبيل المال الاحتياطي لها وللاسرة

« وقد شرحنا هذه المسألة بالتفصيل في مقالات أخرى »

ARCHIVE
http://archive.beta.sakhrit.com

مهر الزواج

إن مما امتازت به الشريعة الاسلامية المحمدية في تكريم النساء على جميع الشرائع والنظم التي يجري عليها البشر في الزواج أنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقترن بها مهراً مقدما على البناء بها، من حيث تفرض الشعوب غير المسلمة على المرأة أن تدفع هي المهر للرجل - ولكنهم يسمونه باسم آخر - فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لاجل أن تجمع مالا تقدمه لمن يقترن بها إذا لم يكن لها ولي من والد أو غيره يبذل لها هذا المال ، وكثيراً ما تركب الاوانس الناعمات أخشن المراكب وتتعرض للعنت ، والتفريط في العرض والشرف ، في سبيل تحصيل هذا المال

وشريعة اليهود تفرض للمرأة مهراً لكنها لا تملكه بالفعل إلا إذا مات زوجها أو طلقها لانه ليس لها أن تتصرف بمالها وهي متزوجة

فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضا حتما وحرم عليه أن يأكل شيئا منه بعد الزواج بدون رضاها وطيب نفسها فقال ﴿ ٤ : ٣ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ والنحلة في اللغة العطاء الذي لا يقابله عوض فقول الفقهاء ان المهر في معنى ثمن

الاستمتاع مخالف للغة ورد عليهم شيخنا الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية رحمه الله) فقال : كلا ان الصلة بين الزوجين أعلا وأشرف من الصلة بين الرجل وفرسه أو جاريته ولذلك قال « نحلة » فالذي ينبغي أن يلاحظ ان هـذا العطاء آية من آيات المحبة وصلة القرب وتوثيق عرى المودة والرحمة ، وانه واجب حتم لا تخيير فيـه كما يخير المشتري والمستاجر ، وترى عرف الناس جاريا على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعه بالهدايا والتحف اه كلامه ولكنه قال في موضع آخر ان حكمة المهر للمرأة أن تطيب نفسها برياسة الرجل عليها ، وهو مع ذلك تكريم لها ؛ وسيأتي

والخطاب يحتمل وجها آخر وهو ان الخطاب للاولياء الذين يزوجون اليتامى وغير اليتامى فقد كان ولي المرأة في الجاهلية يزوجها ويأخذ صداقها لنفسه دونها فنهى الله الاولياء في الاسلام أن يفعلوا ذلك . قال تعالى (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) أي فان طابت أنفسهن عن شيء من المهر فاعطينه من غير إكراه ولا [illegible] سوء العشرة ولا إخجال بالخلابة والخديعة ، وقال ابن عباس (رض) من غير ضرار ولا خديعة (فكلوه هنيئا مريئا) أي سائغا لا غصص فيه ولا تنغيص ، فاذا طلب منها شيئا فحملها الخجل أو الخوف على إعطائه ما طلب فلا يحل له ، وعلامات الرضا وطيب النفس لا تخفى

١٢ - الزواج وحقوق النساء فيه

كان عند العرب في الجاهلية انواع من الزواج الفاسد الذي كان يوجد عند كثير من الشعوب ولا يزال بعضه الى اليوم في البلاد التي تغلب عليها الهمجية - فمنها اشتراك الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحدة ، وإعطاؤها الحق في الولد ان تلحقه بمن شاءت منهم

ومنها نكاح الاستبضاع وهي ان يأذن الرجل لزوجه ان تمكن من نفسها رجلا معينا من الرؤساء والكبراء الممتازين بالشجاعة او الكرم ليكون لها منه ولد مثله

وهذان النوعان لا يزالان موجودان بصفة مطلقة دائمة في بعض البلاد كالتبت وغيرها وكان عند العرب موقتا ومقيدا بما ذكرنا

(ومنها) السفاح بالبغاء العلني وكان عند العرب خاصا بالاماء دون الحرائر (ومنها) اتخاذ الاخدان اي الصواحب العشيقات، وكان عرب الجاهلية يستترون به ويعدون ما ظهر منه لؤما وخسة — وهذان النوعان عامان شائعان في بلاد الافرنج كلها جهراً، وقد سرى فساده منهم الى بلاد الشرق التي غلب نفوذهم عليها او على حكامها كالهند وتونس والجزائر ومصر وسورية ولبنان والعراق وقد قررت حكومة فرنسة أخيرا جعل اولاد الاخدان كالاولاد الشرعيين في الميراث وغيره بعموم الفساد فيه

(ومنها) نكاح المتعة وهو الموقت وقد شاع في بلاد الافرنج اخيراً ويسمونه نكاح التجربة وتبيحه الشيعة الامامية من المسلمين (ومنها) نكاح البدل والمبادلة وهو ان يتنزل رجلان كل منهما عن امرأته للآخر. ونكاح الشغار وهو ان يزوج كل من الرجلين الآخر بنته او اخته او غيرهما ممن تحت ولايته بدون صداق — وهذان النوعان مبنيان على قاعدة جعل المرأة ملكا للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بهائمه وأمواله [illegible] يجريان في بعض الشعوب الفاسدة او الهمجية كالنجر، والرق في كل ذلك [illegible] من اثقاله واوزاره الجسمية والادبية والمالية

وأما المرتقون من العرب كقريش فكان نكاحهم هو الذي عليه المسلمون وبعض الشعوب الراقية من الخطبة والمهر والعقد، وهو الذي اقره الاسلام مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيه من استبداد في تزويجهن كرها او عضلهن اي منعهن من الزواج او أكل مهورهن، وكذا تعددهن بغير حد في العدد ولا قيد في المصلحة ولا شرط في العدل ولا في الحقوق — ابطل الاسلام كل المظالم الخالصة وقيد منها ما فيه وجهان بما يرجح المصلحة على المفسدة والعدل على الظلم

١٣ — (ولاية النكاح وحرية المرأة واختيارها فيه)

جمع الاسلام بين جعل حق التزويج لولي المرأة وحق المرأة في قبول من ترضاه من الازواج ورد من لا ترضاه، فمنع الاولياء من الاستبداد في تزويج مولياتهم من بنات واخوات وغيرهن بغير رضاهن وكان من ظلم الجاهلية لهن، بل لا يزال الوالدان يكرهون بناتهم على الزواج بمن يكرهن من الرجال في جميع الامم على ما فيه من الشقاء

والفساد، كذلك منع المرأة من التزوج بغير كفؤ برضاء أولياؤها وعصبتها فيكون تزوجها به سببا لوقوع العداوة والشقاق بينهم وبين عشيرته بالتبع له، بدلا من تجديد مودة وتعاون بمصاهرته. وليس للاولياء ولا للوالد نفسه أن يمتنع من زواجها بأي كفؤ ترضاه

روى الجماعة كلهم(١) عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال ولا تنكح الايم(٢) حتى تستأمر. ولا البكر حتى تستأذن - قالوا يا رسول الله وكيف اذنها ؟ قال ان تسكت » ورووا (الا البخاري) عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) والثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها واذنها صماتها » أي سكوتها يكتفى به فلا تكلف التصريح لحيائها كما روي عن عائشة أنها سألت النبي (ص) عن استئذان البكر فقالت ان البكر تستأذن فتستحي فتسكت فقال « سكاتها اذنها » متفق عليه وروى الجماعة الا مسلما عن خنساء بنت خدام الانصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله (ص) فرد نكاحها أي أبطله. قال بعض المحققين لايكون سكوت البكر اذنا الا اذا كانت تعلم ذلك، فان كانت لا تعلم فينبغي اعلامها

وروى احمد والنسائي من حديث ابن بريدة وابن ماجه من حديث عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال جاءت فتاة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته . قال فجعل (ص) الامر اليها ، فقالت قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء انه ليس الى الآباء من شيء . تعني أنه ليس لهم اكراههن على التزوج بمن لا يرضينه.

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة أنه (ص) قال « إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» ورواه من حديث أبي حاتم المزني بلفظ « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » الخ ورواه أبو داود في المراسيل

(١) الجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة
٢) الايم بتشديد الياء غير المتزوجة بكراً كانت أم ثيبا

http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤ — أركان الزوجية الفطرية في الاسلام

ارشد الله البشر بكتابه القرآن الحكيم الى ان للحياة الزوجية ثلاثة اركان (أو أقانيم) يجب عليهم تحريها فيها وهي ما اشرنا اليه في صدر هذه الرسالة وصدرناها بآيتها من قوله عز وجل (٣٠ : ٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)

فالسكون النفسي الجنسي وهو الركن الاول من هذه الاركان خاص بالزوجين وهو تعبير بليغ عن شعور الشوق واللذة والحب الذي يجده كل منها باتصالها والملابسة بالفضاء أحدهما الى الآخر الذي به تتم انسانيتها فتكون منتجة أناسي مثلهما وبه يزول أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل لا ترتاح النفس وتطمئن في سريرتها بدونه

وانما تكون المحافظة على هذا الركن بما أرشد كتاب الله تعالى اليه من قصد الاحصان في النكاح وهو أن يقصد به كل من الزوجين إحصان الآخر — أي إعفافه وحفظه من صرف داعية النسل الطبيعية الى المسافحة أو اتخاذ الاخدان لاجل اللذة فقط ، وقصارى هذا الاحصان أن يقصر كل منها هذا الاستمتاع على الآخر ويقصد حكمته وسيلة النسل وحفظ النوع البشري على أسلم وجه وأفضله

قال الله تعالى بعد بيان محرمات النكاح من سورة النساء (٤ : ٢٤ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) الآية . ثم قال بعدها في نكاح الاماء (٢٥ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)

وقال في سورة المائدة (٥ : ٤ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) والركن الثاني من اركان الزوجية المودة اي المحبة التي يظهر اثرها في التعامل والتعاون وهو مشترك بين الزوجين وأسرة كل منهما — والركن الثالث الرحمة التي لاتكمل للانسان إلا بعواطف الامومة والابوة ورحمتهما لاولادهما، فيكون لكل البشر او الاحياء حظ من هذه الرحمة الكاملة ، إذا لم يكن فساد التربية والمعاشرة أو تعاليم العداوات والعصبيات بين البشر مفسدة لها او قاصرة لها على المشاركين في القومية او العقيدة أو الوطن ومن تفكر في هذه الاركان الثلاثة حق التفكر علم أن عليها مدار سعادة الزوجية التي هي جل سعادة الانسانية . ولذلك قال تعالى بعد بيانها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(*)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المساواة بين الزوجين ودرجة الرجال عليهن

ان الاصلاح الاكبر الذي جاء به الاسلام ، ونزل به القرآن في شأن النساء هو الآية (٢:٢٢٨) من سورة البقرة فهذه الآية قد هدمت جميع ما كان من النظريات والدعاوي والعادات والتقاليد التي يستبد بها الرجال الاقوياء ويستعلون على النساء الضعيفات في انفسهن وأموالهن وأولادهن . وقد فسرنا هذه الآية في الجزء الثاني من تفسيرنا بما يليق به هذه الدرجة ونشر هنا ملخصه وهذا نصه :

(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)

هذه كلمة جليلة جداً جمعت على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير ، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمراً واحداً عبر عنه بقوله (وللرجال عليهن درجة) وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى (٤:٣٤ الرجال

(*) قد أنشأنا عدة فصول في شرح هذه الاركان نشرناها في مجلد المنار الثامن

قوامون على النساء ﴾ الآية . وقد أحال في معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهن ، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم ، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشؤون والاحوال ، فاذا هم بمطالبتها بامر من الامور يتذكر أنه يجب عليه مثله بازائه ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما « اني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية »

وليس المراد بالمثل المثل لاعيان الاشياء وانما اراد ان الحقوق بينهما متبادلة وانهما أكفاء ، فما من عمل تعمله المرأة للرجل الا وللرجل عمل يقابله لها إن لم يكن مثله في شخصه ، فهو مثله في جنسه ، فهما متماثلان في الحقوق والاعمال ، كما انهما متماثلان في الذات والاحساس والشعور والعقل ، أي ان كلا منهما بشر تام له عقل يتفكر في مصالحه ، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ، ويكره ما لا يلائمه وما ينفر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر ويتخذه عبداً يستذله ويستخدمه في مصالحه لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال الاستاذ الامام قدس الله روحه : هذه الدرجة التي رفع النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ، ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها امة من الامم قبل الاسلام ولا بعده ، وهذه الامم الاوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون — لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها ، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف

وقد كان النساء في أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء في كل شيء ، كما كن في عهد الجاهلية عند العرب او أسوأ حالا — ونحن لا نقول ان الدين المسيحي أمرهم بذلك لا ننا نعتقد أن تعليم المسيح لم يصل اليهم كاملا سالما من الاضافات والبدع ، ومن المعروف ان ما كانوا عليه من الدين لم يرق المرأة وانما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي

وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء ، ويزعم الجاهلون منهم

بالاسلام أن ما نحن عليه هو أثر ديننا — ذكر الاستاذ الامام في الدرس ان احد السائحين من الافرنج زاره في الازهر و بينما هما ماران في المسجد رأى الافرنجي بنتا مارة فيه فبهت وقال ماهذا ؟! أنثى تدخل الجامع ! فقال له الامام: وما وجه الغرابة في ذلك؟ قال انا نعتقد ان الاسلام قرر أن النساء ليس لهن ارواح وليس عليهن عبادة . فبين له غلطه وفسر له الآيات فيهن . قال فانظروا كيف صرنا حجة على ديننا؟ والى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة(١) فما بالكم بعامتهم؟

إذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل مالهم عليهن إلا ما ميزهم به من الرياسة، فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة الرياسة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن، و يجعل لهن في النفوس احتراما يعين على القيام بحقوقهن و يسهل طريقه، فان الانسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤديا ماله بما يجب عليه عاملا به ولا يسهل عليه أن يمتهنه أو يهينه ، واذا بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة فكان ذلك زاجرا له عن مثلها

خاطب الله تعالى النساء بالايمان والمعرفة والاعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال ، وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن ، وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة وبايع النبي (ص) المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهن بعلم الكتاب والحكمة كما امرهم ، وأجمعت الامة على ما مضى به الكتاب والسنة من انهن مجزيات على اعمالهن في الدنيا والآخرة ـ أفيجوز بعد هذا كله أن يحرمن من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن ولبعولتهن ولاولادهن ولذي القربى وللامة والملة؟

العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس اليه إذ يستحيل ان تتوجه الى المجهول المطلق ، والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سببا للعناية بفعله والتوقي من إهماله ـ فكيف يمكن للنساء أن يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بها إجمالا وتفصيلا؟ وكيف تسعد في الدنيا او الآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه ولا للناس؟ والنصف الآخر قريب من ذلك لانه لا يؤدي الا قليلا مما يجب عليه من ذلك و يترك الباقي ومنه إعانة ذلك النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه أو إلزامه إياه بما له عليه من السلطة والرياسة

(١) كان سبب هذا ما انتشر بين الكتب والرسائل والاشاعات في الاسلام والافتراء عليه

ان ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وآدابه وعباداته محدود ولكن ما يطلب منها لنظام بيتها وتربية اولادها ونحو ذلك من امور الدنيا كأحكام المعاملات - إن كانت في بيت غنى ونعمة - يختلف باختلاف الزمان والمكان والاحوال، كما تختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال : ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة ؟ ألا ترى ان فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسي كافيا في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفا على المدافع والبنادق والبوارج، وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالامس؟ ألم تر ان تمريض المرضى ومداواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي (ص) وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقد صار الآن متوقفا على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة ؟ أي الامرين أفضل في نظر الاسلام : أتمريض المرأة لزوجها إذا هو مرض أم اتخاذ ممرضة اجنبية تطلع على عورته وتكشف خبآت بدنه؟ وهل يتيسر المرأة أن تمرض زوجها أو ولدها إذا كانت جاهلة [illegible] الادوية؟ لم يتيسر لكثيرات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الادوية [illegible] دواء مكان آخر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(وقد ذكرنا في التفسير هنا كلاما للمحدثين والفقهاء في حقوق كل من الزوجين على الآخر كقول الاكثرين: ان المرأة لايجب عليها للرجل غير الطاعة في نفسها وحفظ نفسها وماله دون خدمة الدار، ورده بامر النبي (ص) بنته فاطمة بخدمة البيت و[illegible] امر علي بما كان في خارجه ،وجزم بعض المحققين من الحنابلة أن ذلك يرجع الي عرف الناس . ثم قلنا)

وما قضى به النبي (ص) بين بنته وربيبه وصهره عليهما السلام هو ما اقتضى به فطرة الله تعالى وهو توزيع الاعمال بين الزوجين : على المرأة تدبير المنزل والقيام بالاعمال فيه : وعلى الرجل السعي والكسب خارجه، وهذا هو المألوف بين الزوجين في الجملة، وهو لا ينافي استعانة كل منهما بالخدم والاجراء عند الحاجة الى ذلك مع القدرة عليه ، ولا مساعدة كل منهما للآخر في عمله إذا كانت هناك ضرورة، وانما ذلك هو الاصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون (٢ : ٢٨٦ لا يكلف الله نفسا الا وسعها — وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله)

وإذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شرعهم فانظر في معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهن قدر الاستطاعة ، لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته إلا العجز ، ويحملونهن ما لا يحمله إلا بالتكلف والجهد ، ويكثرون الشكوى من تقصيرهن ، ولئن سألتهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم عليهن ليقولن كما يقول أكثر فقهائهم إنه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل ولا كنس ولا فرش ، ولا إرضاع طفل ، ولا تربية ولد ، ولا إشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك ، إن يجب عليهن إلا المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع ، وهذان الأمران عدميان ، أي عدم الخروج من المنزل بغير إذن وعدم المعارضة بالاستمتاع ، فالمعنى أنه لا يجب عليهن للرجال عمل قط بل ولا للأولاد مع وجود آبائهم

وأما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فهو يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجال أشياء ، ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى (٤ : ٣٤ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف ، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام ، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف الخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٦

مقتضى الفطرة فى اعمال الزوجين

هذا وإن ما تقرر في السنة من اقتسام أعمال الزوجية بين الرجل والمرأة هو مقتضى الفطرة — والإسلام دين الفطرة — فقد فضل الله الرجل في خلقته بقوة في الجسم والعقل كان بها أقدر على الكسب والحماية والدفاع الخاص بالأسرة ، والعام للأمة والدولة ، ومن ثم فرض عليه النفقة ، وبها كان الرجال قوامين على النساء ، يتولون الرياسة العامة والخاصة التي لا يقوم النظام العام ولا الخاص بدونها ،

فعليه جميع الاعمال الخارجية في أصل الفطرة ، وهذا ما عليه جميع أمم الحضارة

ومن مقتضى الفطرة اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الاطفال وتربيتهم وتدبير المنزل بجميع شؤونه ، ولها الرياسة في جميع الاعمال الداخلية المحضة فيه قال النبي (ص) « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها » الحديث وهو متفق عليه

ولا ينازع في تفضيل الله الرجل على المرأة في نظام الفطرة الا جاهل أو مكابر ، فهو أكبر دماغا وأوسع عقلا ، وأقوى عضلا ، وأعظم استعدادا للعلوم وأقدر على مختلف الاعمال ، بل هو يؤدي وظيفته من حكمة الزوجية وهي النسل كافراغ مادته بارادته واختياره في عامة أحواله ، والمرأة ليس لها قدرة على مثل هذا وانما تنشأ فيها بويضات النسل في أوقات مخصوصة لا ارادة لها فيها ، والحيوان المنوي الذي يلقح هذه البويضات هو الذي يسعى اليها في مكانها من مدخل الرحم الى مستقره فيلقحها وليست هي التي تسعى [illegible] هذا السعي وانما تنتظره انتظاراً ، فله الحصول والفعل ، ولها القبول والانفعال ، ويوجد في البيضة التي يلقحها الغذاء الذي يكون به النمو، وانما الحركة والنمو من خاصته لا منها ، الى أن تكون النطفة المتحدة بالتنقل في الاطوار فتكون جنينا لانسان كامل ، فكذلك يسعى الرجل و يكدح و ينقل ما يكسبه الى المرأة في الدار فتصرف فيه بما تقتضيه حاجة الاسرة من غذاء وغيره

ومن استقرأ طباع النساء السليمات الفطرة من جناية سوء التربية وفساد النظام يرى أن الثابت في غرائزهن ان خير الازواج وأولاهم بالاختيار من كان قادراً على الكسب وحماية النسل وصيانته . وما يتوقف عليه تربيته الى أن يبلغ أشده . وقد ألقت غير واحدة من الصحف الافرنجية ولاسيما الانكليزية أسئلة على النساء فيمن يفضلن من الازواج وصفات الرجال فجاءت أكثر أجوبتهن على ما ذكرنا.

على أن هذا النظام الفطري الشرعي في الزوجية لا يمنع غير الزوجات والامهات من المسلمات أن يشتغلن بالتوسع في بعض العلوم والاعمال العامة بقدر استعدادهن ورغبتهن ، وانما الافضل والانفع لهن ولامتهن وللانسانية كلها أن يتقن العلوم والاعمال الخاصة بالزوجية والامومة ، وقد صارت في هذا العصر كبيرة وكثيرة

(١٧ — رياسة الرجل في الاسرة شورية لا استبدادية)

وردت النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله محمد خاتم النبيين في جعل ادارة المنزل والاسرة مقيدة باوامر الشريعة ونواهيها وبالعرف المرعي بين الناس في المعاشرة بالمعروف وحفظ الكرامة في حالتي الحب والكره، والرضا والسخط قال الله تعالى (٤ : ١٩ وعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)

وقال النبي (ص) « لايفرك (١) مؤمن مؤمنة : إن كره منها خلقا رضي آخر » رواه مسلم من حديث جابر — والفرك ضد العشق بين الزوجين . فالحديث بمعنى الآية . والنهي فيه مبني على أن الاصل في الزوجين التحاب التام ، فان حرماه فليجتنبا اسباب الكره والبغض . وخص النبي (ص) الرجل بالنهي عن الفرك لزيادة العناية بشأن المرأة — وهو تخصيص [illegible] الاول — لان العرب كانت تسند الفرك الى النساء [illegible] الفاركة ضد العروب [illegible] المتحببة الى زوجها

والقاعدة الشرعية في نظام المنزل : التزام [illegible] من الزوجين العمل بارشاد الشرع في كل ماهو منصوص عليه ، والتشاور والتراضي في غير المنصوص عليه ومنع الضرر والضرار بينهما وعدم تكليف احدهما الآخر ما ليس في وسعه ، والاصل في قاعدة هذه الاحكام كلها قوله تعالى (٢ : ٢٣٣ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ، لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ، وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) الآية . وهي في الوالدات المطلقات فالمتلبسات بالزوجية أولى منهن بالتراضي والتشاور مع الوالد فيما فيه المصلحة لولدها . وهو يدخل في وصفه تعالى للمؤمنين بقوله (٤٢ : ٣٨

(١) فرك مثال ضرب يضرب

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

وقال (ص) «استوصوا بالنساء خيراً فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج» (١) ومعناه ان في طبع المرأة عوجا في صلابة خلقية لحكمة في ذلك فهي كالضلع في عوجه وتقوسه لحكمة، فيجب على الرجل أن لا يحاول تقويم هذا العوج بالقوة ، وان يستوصي بها خيراً على ما هي عليه مما هو طبع لها ، وانما يكون التأديب على العوج والميل عن الصواب والمصلحة في الامور العادية التي يمكن تركها بدون مقاومة للطبع

وقال (ص) «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (٢) وقال «خيركم خيركم للنساء» (٣) وقال «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم» (٤) وقال (ص) «ليس خير [illegible] الذهب والفضة، ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته» (٥)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانا نريد موضوع تفضيل الرجال على النساء والمساواة شرحا لما قد تجدد في هذا العصر من البحث فيه ومن طلب المساواة التامة بين الجنسين التي جرأ نساء أوربة على المطالبة بها و إلحاحهن في الطلب بعد الحرب العالمية الكبرى أنهن تولين فيها اكثر أعمال الرجال في الكسب والانفاق ووجد منهن ألوف الالوف أرامل وعوانس لا كافل لهن من الرجال ، فنشرحه بما يعلم به القارىء ان نساء العرب استشرفن الى مثله في صدر الاسلام بما نفخه من روح الحياة فيهن ، وأن الوحي عالجه علاجا لا يمكن ان يعالج في بلاد الافرنج الا به فنقول :

---

(١) رواه الشيخان في صحيحيهما ، وفي رواية لاقامة (٢) رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس والطبراني عن معاوية وهو صحيح (٣) رواه الحاكم عن ابن عباس (٤) رواه ابن عساكر عن علي وهو صحيح كما علم عليه السيوطي في الجامع الصغير (٥) رواه ابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى وغيرهم

١٨ - وظائف الرجال والنساء وأعمالهما

قال الله تعالى في سورة النساء (٤ : ٣٢ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

ذكرنا في الجزء الخامس من تفسير المنار انه ورد في سبب نزول هذه الآية وموضوعها ثلاث روايات ﴿ الاولى ﴾ عن مجاهد ان ام سلمة زوج النبي ﴿ص﴾ قالت يارسول الله : يغزو الرجال ولانغزو ، وانما لنا نصف الميراث ﴿الثانية﴾ عن عكرمة ان النساء سألن الجهاد فقلن : وددنا ان الله جعل لنا الغزو فنصيب من الاجر ما يصيب الرجال ﴿ الثالثة ﴾ عن قتادة والسدي قالا لما نزل قوله تعالى (للذكر مثل حظ الانثيين) قال الرجال : انا لنرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء . وقالت النساء : انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا. كل هذا قد قيل ونزلت الآية فاصلة فيه وفي غيره مما في معناه . ونقلنا عن استاذنا الامام في تفسيرها ما نصه :

سبب تلك الروايات الحيرة في فهم الآية ومعناها ظاهر وهو أن الله تعالى كلف كلا من الرجال والنساء أعمالا فما كان خاصا بالرجال لهم نصيب من أجره لا يشاركهم فيه النساء ، وما كان خاصا بالنساء لهن نصيب من أجره لا يشاركهن فيه الرجال ، وليس لاحد أن يتمنى ما هو مختص بالآخر ، وجعل الخطاب عاما للفريقين مع أن الرجال لم يتمنوا أن يكونوا نساء ولا أن يعملوا عمل النساء وهو الولادة وتربية الاولاد وغير ذلك مما هو معروف وانما كان النساء هن اللواتي تمنين عمل الرجال ، وأي عمل الرجال تمنين ؟ تمنين أخص أعمال الرجولة وهو حماية الذمار والدفاع عن الحق بالقوة ، ففي هذا التعبير عناية بالنساء وتلطف بهن وهن موضع للرأفة والرحمة لضعفهن واخلاصهن فيما تمنين. والحكمة في ذلك أن لا يظهر ذلك التمني الناشيء عن الحياة الملية الشريفة (منهن) فان تمني مثل هذا العمل

قريب من النساء جدا، وسببه أن الامة في عنفوان حياتها يكون النساء والاطفال فيها مشتركين مع الرجال في هذه الحياة وفي آثارها، وانها لتسري فيها سريانا عجيبا، ومن عرف تاريخ الاسلام ونهضة العرب به وسيرة النبي (ص) والمؤمنين به في زمنه يرى أن النساء كن يسرن مع الرجال في كل منقبة وكل عمل فقد كن يأتين ويبايعن النبي (ص) تلك المبايعة المذكورة في (سورة الممتحنة) كما كان يبايعه الرجال، وكن ينفرن معهم اذا نفروا للقتال، يخدمن الجرحى ويأتين غير ذلك من الاعمال. فاراد الله أن يخص النساء بأعمال البيوت والرجال بالاعمال الشاقة التي في خارجها ليتقن كل منهما عمله، ويقوم به كما يجب مع الاخلاص له. وتنكير لفظ «نصيب» لافادة أن ليس كل ما يعمله العامل يؤجر عليه وانما الاجر على ما عمل بالاخلاص – أي في الكلام حث ضمني عليه – (واسألوا الله من فضله) أي ليسأله كل منكم الاعانة والقوة على ما نيط به حيث لا يجوز له ان يتمنى ما نيط بالآخر. ويدخل في هذا النهي تمني كل ما ليس من الامور الخلقية كالجمال والعقل إذ لا فائدة في تمنيها لمن لم يعطها. ولا يدخل فيه ما يقع تحت قدرة الانسان من الامور الكسبية اذ يحسن من الانسان ان ينظر الى الآخر ويتمنى لنفسه مثله وخيراً منه بالسعي والجد، كأنه يقول وجهوا أنظاركم الى ما يقع تحت كسبكم، ولا توجهوها الى ما ليس في استطاعتكم فانما الفضل بالأعمال الكسبية فلا تتمنوا شيئا بغير كسبكم وعملكم المراد منه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩ – درجة الرجال على النساء – الرياسة

﴿ وكونهن معهم قسمين صالحات وناشزات ﴾

بعد هذا النهي لكل من الرجال والنساء عن تمني ما اختص به الآخر بمقتضى الفطرة التي أكملها الله بدين الفطرة بين لنا عز وجل سبب التفضيل بقوله:

(٤: ٣٤ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا)

وقد كتبت في تفسيرها من الجزء الخامس ما نصه :

أي ان من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية ومن لوازم ذلك أن يفرض عليهم الجهاد دونهن فانه يتضمن الحماية لهن، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن، لان عليهم من النفقة ما ليس عليهن ، وسبب ذلك أن الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة ، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت في التكاليف والاحكام، أثر التفاوت في الفطرة والاستعداد ، وثم سبب آخر كسبي يدعم السبب الفطري ، وهو ما ينفق الرجال على النساء من أموالهم، فان في المهور تعويضا للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال، فالشريعة كرمت المرأة اذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة وهو أن يكون زوجها قيما عليها فجعل هذا الامر من قبيل الامور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لاجل المصلحة، كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة ، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة ورضيت بعوض مالي عنها فقد قال تعالى (٢: ٢٢٨ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالآية أوجبت لهن هذه الدرجة التي تقتضيها الفطرة لذلك كان من تكريم المرأة اعطاؤها عوضا ومكافأة في مقابلة هذه الدرجة، وجعلها بذلك من قبيل الامور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين. ولا يقال ان الفطرة لا تجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مرءوسة للرجل بغير عوض، فانا نرى النساء في بعض الامم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم، فهل هذا إلا بدافع الفطرة الذي لا يستطيع عصيانه إلا بعض الافراد ؟

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستاذ الامام : المراد بالقيام هنا هو الرياسة التي يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره، وليس معناها أن يكون المرؤس مقهوراً مسلوب الارادة لا يعمل عملا الا ما يوجهه اليه رئيسه، فان كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن ارشاده والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده اليه أي ملاحظته في أعماله وتربيته، ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته ولو لتحوز يارة أولي القربى الا في الاوقات والاحوال التي يأذن بها الرجل ويرضى

(قال) والمراد بتفضيل بعضهم على بعض تفضيل الرجال على النساء ولو قال (بما فضلهم عليهن) أو قال (بتفضيلهم عليهن) لكان أخصر وأظهر فيما قلنا انه المراد، وانما الحكمة في هذا التعبير هي عين الحكمة في قوله (ولا تتمنوا ما فضل الله

به بعضكم على بعض) وهي افادة أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد : فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن

(أقول) يعني أنه لا ينبغي للرجل أن يبغي بفضل قوته على المرأة ولا للمرأة أن تستثقل فضله وتعده خافضاً لقدرها ، فانه لا عار على الشخص ان كان رأسه افضل من يده وقلبه اشرف من معدته مثلاً ، فان تفضيل بعض اعضاء البدن على بعض بجعل بعضها رئيسا دون بعض انما هو لمصلحة البدن كله لا ضرر في ذلك على عضو ما ، وانما تتحقق وتثبت منفعة جميع الاعضاء بذلك . كذلك مضت الحكمة في فضل الرجل على المرأة في القوة والقدرة على الكسب والحماية ، ذلك هو الذي يتيسر لها به القيام بوظيفتها الفطرية وهي الحمل والولادة وتربية الاطفال وهي آمنة في سربها ، مكفية ما يهمها من أمر رزقها . وفي التعبير حكمة اخرى وهي الاشارة الى أن هذا التفضيل إنما هو للجنس على الجنس لا لجميع افراد الرجال على جميع افراد النساء ، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل بل وفي قوة البنية والقدرة على الكسب ؟ اخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ — صفة الزوجات الصالحات

ثم قال تعالى ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ هذا تفصيل لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التي تكون المرأة فيها تحت رياسة الرجل ، ذكر أنهن فيها قسمان : صالحات وغير صالحات . وأن من صفة الصالحات القنوت وهو السكون والطاعة لله تعالى وكذا لازواجهن بالمعروف ، وحفظ الغيب

قال الثوري وقتادة : حافظات للغيب يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال ، وروى ابن جرير والبيهقي من حديث ابي هريرة ان النبي (ص) قال « خير النساء التي اذا نظرت اليك سرتك ، واذا أمرتها أطاعتك ، واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها » وقرأ (ص) الآية . وقال الاستاذ الامام الغيب هنا هو ما يستحيا من اظهاره اي حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن على شيء مما هو خاص بالزوج

أقول ويدخل في قوله هذا وجوب كتمان كل ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة ولا سيما حديث الرفث فما بالك بحفظ العرض . وعندي ان هذه العبارة ألطف ما في القرآن من دقائق كنايات النزاهة ، تقرأها خرائد العذارى جهراً ويفهمن

ما توحي إليه مما يكون سراء وهن على بعد من خطرات الخجل أن تمس وجدانهن الرقيق بأطراف أناملها ، فلقلوبهن الأمان من تلك الخلجات التي تدفع الدم إلى الوجنات ، ناهيك بوصل حفظ الغيب (بما حفظ الله) فالانتقال السريع من ذكر ذلك الغيب الخفي إلى ذكر الله الجلي ، يصرف النفس عن التمادي في التفكر فيما يكون وراء الأستار من تلك الخفايا والأسرار ، وتشغلها بمراقبته عز وجل

وفسروا قوله تعالى (بما حفظ الله) بما حفظه لهن في مهورهن وإيجاب النفقة لهن - يريدون أنهن يحفظن حق الرجال في غيبتهم جزاء على المهر ووجوب النفقة المحفوظين لهن في حكم الله تعالى . وما أراك إلا ذاهبا معي إلى وهن هذا القول وهزاله ، وتكريم أولئك الصالحات بشهادة الله تعالى أن يكون حفظهن لذلك الغيب من يد تلمس ، أو عين تبصر ، أو أذن تسترق السمع ، معللا بدراهم قبضن ، ولقيمات يرتقبن . ولعلك بعد أن تمج هذا القول يقبل ذوقك ما قبله ذوقي وهو أن الباء في قوله (بما حفظ الله) هي مثلها في (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأن المعنى حافظات للغيب بحفظ الله أي بالحفظ الذي يؤتيهن الله إياه بصلاحهن فإن الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه ما يجعلها محفوظة من الخيانة قوية على حفظ الأمانة ، أو حافظات له بسبب أمر الله بحفظه ، فهن يطعنه ويعصين الهوى ، فعسى أن يصل معنى هذه الآية إلى نساء عصرنا اللواتي يتفكهن بإفشاء أسرار الزوجية ولا يحفظن الغيب فيها (١)

٢١ — حكم الزوجات الناشزات

الأستاذ الإمام : إن هذا القسم من النساء ليس للرجال عليهن شيء من سلطان التأديب وإنما سلطانهم على القسم الثاني الذي بينه و بين حكمه بقوله عز وجل ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ﴾ النشوز في الأصل بمعنى الارتفاع - فالمرأة التي تخرج عن حقوق الرجل قد ترفعت عليه وحاولت أن تكون فوق رئيسها بل ترفعت أيضا عن طبيعتها وما يقتضيه نظام الفطرة

(١) قال رسول الله (ص) «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه» وفي رواية التعبير عن ذلك بأن «من أعظم الأمانة عند الله» رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وفي المسند والسنن أحاديث في هذا المعنى

في التعامل فتكون كالناشز من الارض الذي خرج عن الاستواء . وقد فسر بعضهم خوف النشوز بتوقعه فقط و بعضهم بالعلم به . ولكن يقال لم ترك لفظ العلم واستبدل به لفظ الخوف ؟ او لم لم يقل (واللاتى ينشزن)؟ لا جرم ان في تعبير القرآن حكمة لطيفة وهي ان الله تعالى لما كان يحب ان تكون المعيشة بين الزوجين معيشة محبة ومودة وتراض والتئام لم يشأ ان يسند النشوز الى النساء إسنادا يدل على ان من شأنه ان يقع منهن فعلا بل عبر عن ذلك بعبارة تومىء الى أن من شأنه ان لا يقع لانه خروج عن الاصل الذي يقوم به نظام الفطرة وتطيب به المعيشة – ففي هذا التعبير تنبيه لطيف إلى مكانة المرأة وما هو الاولى في شأنها، والى ما يجب على الرجل من السياسة لها وحسن التلطف في معاملتها، حتى اذا آنس منها ما يخشى ان يؤول الى الترفع وعدم القيام بحقوق الزوجية فعليه اولا ان يبدأ بالوعظ الذي يرى انه يؤثر في نفسها

والوعظ يختلف باختلاف حال المرأة فمنهن من يؤثر في نفسها التخويف من الله عز وجل وعقابه على النشوز ومنهن من يؤثر في نفسها التهديد والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا كشماتة الاعداء والمنع من بعض الرغائب كالثياب الحسنة والحلي والرجل العاقل لا يخفى عليه الوعظ الذي يؤثر في قلب امرأته

واما الهجر فهو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ويشق عليها هجره إياها ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه وهو الفراش، ولا بهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجاع ، وانما يتحقق بهجر في الفراش نفسه. وتعمد هجر الفراش او الحجرة زيادة في العقوبة لم يأذن بها الله تعالى وربما يكون سببا لزيادة الجفوة، وفي الهجر في المضجع نفسه معنى لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذي هو فيه لان الاجتماع في المضجع هو الذي يهيج شعور الزوجية فتسكن نفس كل من الزوجين الى الآخر و يزول اضطرابهما الذي اثارته الحوادث قبل ذلك فاذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة رجي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي الى سؤاله عن السبب ويهبط بها من نشز المخالفة ، الى صفصف (١ الموافقة ، وكأني بالقارىء وقد جزم بأن هذا هو المراد ، وان كان مثلي لم يره لاحد من الاموات ولا الاحياء،

(١) النشز المتحرك المكان المرتفع من الارض والصفصف المستوي من الارض

وأما الضرب فاشترط فيه أن يكون غير مبرح وروى ذلك ابن جرير مرفوعا الى النبي (ص) والتبريح الايذاء الشديد . وروي عن ابن عباس (رض) تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه . أي كالضرب باليد أو بقصبة صغيرة

وقد وردت أحاديث كثيرة في تقبيح الضرب والتنفير عنه منها حديث عبد الله ابن زمعة في الصحيحين وغيرهما قال قال رسول الله (ص) «ولا يجلد احدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم؟» وفي رواية عن عائشة عند عبد الرزاق «أما يستحي احدكم ان يضرب امرأته كما يضرب العبد ؟ يضربها اول النهار ثم يجامعها آخره» يذكر الرجل بأنه إذا كان يعلم من نفسه انه لابد له من ذلك الاجتماع والاتصال الخاص بامرأته وهو اقوى وأحكم اجتماع يكون بين اثنين من البشر يتحد احدهما بالآخر اتحادا تاما ، فيشعر كل منهما بان صلته بالآخر أقوى من صلة بعض اعضائه ببعض - اذا كان لابد له من هذه الصلة والوحدة التي تقتضيها الفطرة، فكيف يليق به أن يجعل امرأته وهي كنفسه ، مهينة كمهانة عبده ، بحيث يضربها بسوطه أو يده؟ حقا ان الرجل الحيي الكريم ليتجافى طبعه عن مثل هذا الجفاء ، ويأبى عليه أن يطلب منتهى الاتحاد بمن انزلها منزلة الاماء. فالحديث ابلغ ما يمكن ان يقال في تشنيع ضرب النساء

وأذكر انني هديت الى معناه العالي قبل ان اطلع على لفظه الشريف ، فكنت كلما سمعت ان رجلا ضرب امرأته اقول ياللّه العجب كيف يستطيع الانسان ان يعيش عيشة الازواج مع امرأة تضرب ؟ تارة يسطو عليها بالضرب ، فتكون منه كالشاة من الذئب ، وتارة يذل لها كالعبد ، طالبا منتهى القرب . ولكن لا ننكر ان الناس متفاوتون فنهم من لا تطيب له هذه الحياة ، فاذا لم تقدر امرأته بسوء تربيتها تكريمه اياها حق قدره ، ولم ترجع عن نشوزها بالوعظ والهجران ، فارقها بمعروف وسرحها باحسان ، إلا ان يرجو صلاحها بالحكم الذي ارشدت اليه الآية ، ولا يضرب فان الاخيار لا يضربون النساء ، وان أبيح لهم ذلك للضرورة فقد روى البيهقي من حديث ام كلثوم بنت الصديق (رض) قالت كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن الى رسول الله (ص) أنهن تمردن عليهم حتى قال عمر يارسول الله قد ذئر النساء على أزواجهن ، أي تمردن وعتين في النشوز والجرأة ، فخلى بينهم وبين ضربهن ثم قال «ولن يضرب خياركم » فما اشبه هذه الرخصة بالحظر . وجملة القول ان الضرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علاج مر ، قد يستغني عنه الخير الحر ، ولكنه لا يزول من البيوت بكل حال ، او يعم التهذيب النساء والرجال

قال تعالى (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) قال الاستاذ الامام أي ان أطعنكم بواحدة من هذه الخصال التأديبية فلا تبغوا بتجاوزها الى غيرها طريقا، فابدأوا بما بدأ الله به من الوعظ ، فان لم يفد فليهجر، فان لم يفد فليضرب، فاذا لم يفد هذا ايضا يلجأ الى التحكيم ، و يفهم من هذا ان الصالحات القانتات لا سبيل عليهن حتى في الوعظ والنصح، فضلا عن الهجر والضرب (ان الله كان عليا كبيرا) فان سلطانه عليكم فوق سلطانكم على نسائكم ، فاذا بغيتم عليهن عاقبكم ، واذا تجاوزتم عن هفواتهن كرما وشمما تجاوز عنكم، قال الاستاذ أي بهذا بعد النهي عن البغي لأن الرجل انما يبغي على المرأة بما يحسه في نفسه من الاستعلاء عليها وكونه اكبر منها واقدر، فذكره تعالى بعلوه وكبريائه وقدرته عليه ليتعظ و يخشع و يتقي الله فيها. واعلموا ان الرجال الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة في بيوتهم انما يلدون عبيدا لغيرهم اه يعني ان اولادهم يتربون على ذل الظلم فيكونون كالعبيد الاذلاء لمن يحتاجون الى المعيشة معهم

٢٢ التحكيم بين الزوجين

قال تعالى [illegible] شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)

الخلاف بين الزوجين قد يكون بنشوز المرأة وقد يكون بظلم من الرجل، فالنشوز يعالجه الرجل بأقرب التأديبات الثلاثة المبينة في الآية التي قبل هذه الآية، فاذا تمادى هو في ظلمه او عجز عن إزالها عن نشوزها وخيف ان يحول الشقاق بينهما دون إقامتهما لحدود الله تعالى في الزوجية بإقامة اركانها الثلاثة : السكون والمودة والرحمة - وجب على المؤمنين المتكافلين في مصالحهم ومنافعهم ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها، عارفين بأحواله وأحوالها . و يجب على هذين الحكمين أن يوجها إرادتهما إلى اصلاح ذات البين ، ومتى صدقت الارادة كان التوفيق الالهي رفيقها ان شاء الله تعالى . و يجب الخضوع لحكم الحكمين والعمل به - فخوف الشقاق توقعه بظهور أسبابه. والشقاق هو الخلاف الذي يكون به كل من المختلفين في شق اي في جانب . والحكم (بالتحريك) من له حق الحكم والفصل بين الخصمين . والمراد ببعثهما ارسالهما الى الزوجين لينظرا في شكوى كل منهما ، و يعرفا ما يرجى أن يصلح بينهما ، و يسترضوهما بالتحكيم ، واعطاؤهما حق الجمع والتفريق اه المراد هنا من تفسير الآية .

٢٣ ـ نشوز الرجل وإعراضه وعلاجه بالصلح أيضا

قال الله تعالى في نشوز الرجل (٤: ١٢٨ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ـ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ـ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) ارشد الله الزوجين إلى الصلح عند خوف المرأة نشوز زوجها وإعراضه التام عنها ، وذكرهما بما يحول دون الوفاق من طباع النفس ، وهو بخل كل منهما بأداء ما عليه من الواجب وحرصه على استيفاء كل ماله من الحق ، بل يقصر كل فيما عليه ، ويطالب الآخر بأكثر مما عليه ، ولا سيما المرأة — فان الشح جامع لمعني البخل والحرص . فحضار الانفس الشح عبارة عن كونها حاضرة له بطبعها لا تكاد [illegible] . ثم وصف لها هذا العلاج بما يرغبهم فيه وهو الاحسان [illegible] الذي قد يكون فوق أداء الواجب ، واتقاء الله في منع الحقوق او المطالبة بأكثر منها طاعة لشح النفس . وهاك خلاصة معنى الآية من تفسير المنار (ص ٤٤٥ ج ٥)

اي وان خافت امرأة (من بعلها نشوزاً) وترفعا عليها (أو إعراضا) عنها ، بأن ثبت لها ذلك وتحقق ولم يكن وهماً مجردا ، او وسواسا عارضا ، وذلك ان المرأة إذا رأت زوجها مشغولا بأكبر العظائم المالية او السياسية ، أو حل أعوص المسائل العلمية ، او بغير ذلك من المشاكل الدنيوية او المهمات الدينية ـ لاتعد ذلك عذراً يبيح له الاعراض عن مسامرتها او منادمتها ، او الرغبة عن مناغاتها ومباعلتها . والواجب عليها أن تتبين وتتثبت فيما تراه من أمارات النشوز والاعراض فاذا ظهر لها ان ذلك لسبب خارجي لا لكراهتها والرغبة عن معاشرتها بالمعروف فعليها أن تعذر الرجل وتصبر على ما لا تحب من ذلك . وان ظهر لها ان ذلك لكراهته إياها ورغبته عنها ﴿ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ اي فلا جناح عليها ولا عليه في الصلح الذي يتفقان عليه بينهما كأن تسمح له ببعض حقها عليه في النفقة او المبيت معها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو بعضها كله فيهما او في احدهما لتبقى في عصمته مكرمة (١) او تسمح له ببعض المهر ومتعة الطلاق او بكل ذلك ليطلقها — فهو كقوله تعالى في سورة البقرة (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) وانما يحل للرجل ما تعطيه من حقها إذا كان برضاها لاعتقادها انه خير لها، من غير أن يكون ملجئا إياها اليه بما لا يحل له من ظلمها او إهانتها

قال تعالى ﴿ والصلح خير ﴾ أي من التسريح والفراق وان كان باحسان وأداء المهر والمتعة وحفظ الكرامة كما هو الواجب على المطلق — لان رابطة الزوجية من أعظم الروابط وأحقها بالحفظ ، وميثاقها من اغلظ المواثيق وأجدرها بالوفاء .

﴿ وأحضرت الانفس الشح ﴾ البخل الناشيء عن الحرص ، ومعنى إحضاره الانفس انها عرضة له ، فاذا جاء مقتضى البذل ألم بها ونهاها ان تبذل ما ينبغي بذله لاجل الصلح واقامة المصلحة ، فالنساء حريصات على حقوقهن في القسم والنفقة وحسن العشرة شحيحات بها ، والرجال ايضا حريصون على اموالهم اشحة بها ، فينبغي لكل منهما ان يتذكر ان هذا من ضعف النفس الذي يضره ولا ينفعه ، وأن يعالجه فلا يبخل عما ينبغي بذله والتساع فيه لاجل المصلحة — فان من اقبح البخل [illegible] الآخر بعد ان افضى بعضهما الى بعض [illegible] يكون التسامح بينهما اوسع من ذلك [illegible]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

﴿ وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ اي وان تحسنوا العشرة فيما بينكم فتراحموا وتعاطفوا ويعذر بعضكم بعضا وتتقوا النشوز والاعراض ، وما يترتب عليهما من منع الحقوق او الشقاق ، فان الله كان بما تعملونه من ذلك خبيرا لا يخفى عليه شيء من دقائقه وخفاياه ، ولا من قصدكم فيه ، فيجزي الذين احسنوا منكم بالحسنى ، والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى اه باختصار

ثم بين لنا في الآيتين اللتين بعدهذه أن عدل الرجل بين النساء غير مستطاع ولاسيا في الحب وإنما عليه ما يملك من العدل في النفقة والعاشرة وأن يكبح جماح الميل النفسي بقوة الارادة حتى لا يفحش فيه فتكون المائل عنها كالمعلقة التي لا هي مزوجة ولا خلية — وأنهما اذا تفارقا لتعذر اقامة حدود العدل والتراضي فان الله يغني كلا منهما عن الآخر بفضله

---

(١) هذا ما فسرت به الصلح عائشة أم المؤمنين (رض) قالت هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها (أي من معاشرتها لكبر سن أو مرض أو غير ذلك) فيريد طلاقها أو يتزوج غيرها فتقول امسكني ولا تطلقني ثم تزوج غيري فأنت في حل من النفقة علي والقسمة لي الخ رواه البخاري وغيره عنها . ومثل هذا يقع كثيرا باختيار المرأة لمصلحتها

تعدد الزوجات

أيتها السيدات الكرائم

كأني بكن وقد سمعتن أو قرأتن ما كتبته لكن مما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين من تكريمكن وإثبات مشاركتكن للرجال في جميع الامور الدينية والحقوق الانسانية — ترفعن أصواتكن قائلات: آمنا وصدقنا بأن هذا إصلاح لم يسبق الاسلام اليه دين، ولم يبلغه قبل محمد فيه نبي ولا حاكم ولا حكيم، ولكن ما بال تعدد الزوجات بقي في دينه مباحا حتى انه هو نفسه لم يتنزه عنه، بل أباح له شرعه الالهي منه أكثر مما أباح لغيره من رجال أمته؟

ألا إن لكن أن تسألن هذا السؤال، وعلي أن أدلي اليكن بالجواب:

١٢ ـ مقدمة في تاريخ تعدد الزوجات وأصله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الباحثون في طبائع البشر، وتواريخ البدو والحضر، ان تعدد الزوجات في الاقطار الكثيرة التي اعتاده أهلها هو اثر ما كان من استرقاق النساء واتخاذ الاقوياء والاغنياء العدد الكثير منهن للاستمتاع والخدمة والعظمة، ولذلك كان خاصا بالملوك والامراء والرؤساء والاغنياء، وكان يكثر في البلاد الحارة التي يغلب على أهلها شهوة الاستمتاع، وكثرة التنقل بين الحسان وصغار السن من النساء ـ وكان عند بعضهم استرقاقا محضا، ثم وجد الجمع بين نكاح الحرائر والاستمتاع بالجواري المملوكات. فقدماء اليونان الاثينيين كانوا يبيعون النساء في الاسواق، ويبيحون تعدد الزوجات بغير حساب. وقد أباح الاسبرطيون تعدد الازواج للمرأة الواحدة كأهل (التبت) دون تعدد الزوجات للرجل. وكان التعدد فاشيا في أوربة عند الغولوا في زمن سزار ومعروفا عند الجرمانيين في زمن تاسيت. وقد فشا في الرومان فعلا لا قانونا حتى حظره جوستنيان في قوانينه ولكنه ظل فاشيا بالفعل، وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الاسلام كشرلمان ملك فرنسة الذي كان معاصرا للخليفتين المهدي والرشيد من العباسيين. وقد اختلفت عادات الناس فيه بين الامم

في جميع القارات والجزائر الجنوبية وما شذ عن ذلك إلا اهل اوربة في القرون الاخيرة، ولكنهم استبدلوا بتعدد الزوجات الشرعيات السفاح واتخاذ الاخدان كما تقدم، وسيأتي مزيد بسط له في بحث التسري

على ان النساء في اوربة قد كن مهينات كالاماء عند اولئك الوثنيين حتى في اعراضهن، الى ما بعد ظهور الاصلاح الاسلامي المحمدي بقرون. والشواهد التاريخية على هذا كثيرة

يقول الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي في كتابه (علم وصف الاجتماع) إن الزوجات كانت تباع في انكلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر، وانه حدث اخيراً في القرن الحادي عشر ان المحاكم الكنسية سنت قانونا ينص على ان الزوج ان ينقل (أو يعير) زوجته الى رجل آخر لمدة محدودة حسبما يشاء الرجل المنقولة اليه المرأة(١) وشر من هذا ما كان للشريف النبيل (الحاكم) روحانيا كان اوزمنيا من الحق في الاستمتاع بامرأة الفلاح الى مدة اربع وعشرين ساعة من بعد عقد [illegible]

وفي سنة ١٥٦٧ للميلاد صدر قرار من البرلمان الاسكوتلاندي بأن المراة لايجوز ان تمنح اي سلطة على اي شيء من الاشياء

والغرب من هذا كله ان البرلمان الانكليزي اصدر قراراً في عصر هنري الثامن ملك انكلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد أي يحرم على النساء قراءة الاناجيل وكتب رسل المسيح. فأين هذا من وضع الصحابة المصحف الاول الذي كتب في خلافة أبي بكر عند امرأة وهي حفصة أم المؤمنين ثم كتابة نسخ المصاحف التي وزعت على الامصار في خلافة عثمان عن ذلك المصحف. ولم تخل البلاد الاسلامية من نساء يحفظن القرآن كله حفظا تاما من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا(٢)

ومن العجيب ان بعض الناس الذين جمعوا بين الزواج والتسري كانوا يحرصون على شرف الزوجات ويبذلون جواريهم لضيوفهم وأكابر قومهم يستمتعون بهن كما

---

١) من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف انكلترة في هذه الايام انه لا يزال يوجد في بلاد الارياف الانكليزية رجال يبيعون نساءهم بثمن بخس جدا [illegible] وقد ذكرت اسماء بعضهم

٢) كان المناسب وضع هذه النصوص التاريخية في مقدمة الرسالة

نقل عن اهل جزيرة فيجي . ونقل عن بعض وثني امريكا الشمالية ان من تزوج امرأة منهم حلت له جميع اخواتها ، وقالوا ان هذا قد انتشر كثيراً في كولومبيا وغيرها

وكان تعدد الزوجات شائعاً بين اليهود قبل النبي في ملوكهم وأنبيائهم وناهيك بداود وسليمان عليهما السلام . وكانت البنت مهينة عندهم حتى كان بعضهم يبيح لأبيها بيعها . وهاك النص المقدس عندهم لاعندنا في نساء اعظم انبيائهم وملوكهم داود وسليمان عليهما السلام

جاء في الفصل الخامس من سفر صموئيل الثاني « ٧ فقال ناثان لداود انت هو الرجل ، هكذا قال الرب إله اسرائيل : انا مسحتك ملكا على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك » ثم وبخه على قتله لاوريا الحثي وأخذ زوجته وقال (١١ هكذا قال الرب : هاءنذا اقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك امام عينيك ، وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس) وسأذكر خبر أوريا مع داود عند الكلام على زينب أم المؤمنين

وفي الفصل الحادي عشر من سفر الملوك الاول ما نصه « ١ وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وادوميات وصيدونيات وحثيات ٢ من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم يدخلون اليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ٣ وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من الجواري فأمالت نساؤه قلبه » الخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٥ ـ الاصلاح الاسلامي في تعدد الزوجات

لما بعث الله محمداً خاتم النبيين في العرب وأبطل شرعه الزنا وكل ما هو في معناه من انواع الانكحة وكل ما هو مبني على عد المرأة كالمتاع او الحيوان المملوك لم يحرم تعدد الزوجات تحريماً مطلقاً ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الاسراف في العدد وفي ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذي قد تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع ويوافق استعداد الرجال له وهو ان لا يتجاوز الاربع و بالقدرة على النفقة عليهن واشترط فيه العدل بين الزوجين او الازواج لمنع ما كان من ظلم النساء بقدر الاستطاعة وهو ما قد يقضي بالمتدين بالاسلام الى الاقتصار على زوج واحدة إلا لضرورة

قال تعالى في سورة النساء (٤ : ٣ وإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتَامَى فانْكِحُوا ما طابَ لكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أوْ ما مَلَكَتْ أيْمانُكُمْ ذلكَ أدْنَى ألاَّ تَعُولُوا)

العول الجور — اي ذلك الاقتصار على امرأة واحدة او ملك اليمين اقرب الوسائل لعدم وقوعكم في الجور والظلم المانع من تعدد الزوجات لمن خاف الوقوع فيه .

فالآية تدل على تحريم التعدد على من يخاف على نفسه ظلم زوجة محاباة لاخرى وتفضيلا لها عليها — وعلى تحريمه بالاولى إذا كان عازما على هذا الظلم بان كان يريد ان يضارها لكرهه لها . ثم قال تعالى في الآية ١٢٩ من هذه السورة نفسها (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فلو قرنت هذه القضية بقضية (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) أنتجتا وجوب الاقتصار على امرأة واحدة — ولكنه قال بعدها (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) فعلم انه ان غير المستطاع هو العدل في الحب وا[illegible] آثاره وما يترتب عليه من المعاملة المستطاعة [illegible] الشرط في الاولى

ههنا ثلاث مسائل قطعية (إحداها) ان الاسلام لم يوجب تعدد الزوجات ولم يندب اليه ، وانما ذكره بما يدل على انه قلما يسلم فاعله من الظلم المحرم . وحكمة هذا وفائدته أن يتروى فيه الرجل الذي تطالبه نفسه به ويحاسبها على قصده وعزمه وما يكون من مستقبل أمره في العدل الواجب

(الثانية) انه لم يحرمه تحريما قطعيا لا هوادة فيه لما في طبيعة الرجال وعاداتهم الراسخة بالوراثة في جميع العالم من عدم اقتصارهم في الغالب على التمتع بامرأة واحدة — ومن حاجة بعضهم الى النسل في حال عقم المرأة او كبرها أو علة اخرى مانعة من الحمل — ومن كثرة النساء في بعض الأزمنة والامكنة ولاسيما اعقاب الحروب بحيث تكون الالوف الكثيرة منهن أيامى لا يجدن رجالا يحصنونهن و ينفقون عليهن مع وجود الاقوياء الاغنياء القادرين على إحصان امرأتين او اكثر الراغبين فيه

(الثالثة) انه جعله وذلك تركه مباحا إلا انه قيده بما تقدم بيانه آنفا من العدد والشرط الذي يتقى به ضرره و يرجى به نفعه إذا التزم فاعله جميع أحكام الاسلام وآدابه في معاملة النساء وقد تقدم أهمها . وقد رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا من

أهل عصرنا أن من المتدينين المتقين من لم يرزق ولداً من زوجه الاولى فعز عليهن ذلك فرغبنهم في التزوج بغيرهن وخطبن لهم وعشن مع الزوج الثانية كعيشة الاخوات في حجر والدهن . وقد كان هذا هو اكثر حال المسلمين في قرون الاسلام الاولى ولكنه قل في هذا الزمن بما طرأ على اكثر الشعوب الاسلامية من الجهل بالاسلام، وحكمه واحكامه وآدابه في الزواج، وفسدت تربيتهم بالتبع لفساد حكوماتهم، فصار تعدد الزوجات في الامصار مثارا لمفاسد لا تحصى في الازواج والاولاد وعشائر الزوجين حتى انقلب ما يشاء من اركان الزوجية الثابتة في كتاب الله تعالى من حب ومودة ورحمة إلى أضدادها . وقد حمل شيخنا الاستاذ الامام في سياق تفسيره للآية في الازهر حملة منكرة شديدة على هذه المفسدة في مصر وقرر انه يستحيل تربية الامة تربية صحيحة مع كثرة هذا التعدد الافسادي الذي صار يجب منعه عملا بقاعدة « لا ضرر ولا ضرار » الثابتة في الحديث(١) وقاعدة تقديم درء المفاسد على جلب المصالح [illegible] وقد نشرنا اقواله في تفسيرها من الجزء الخامس و[illegible] فتوى غير رسمية بأن للحكومة منع التعدد [illegible]

وشرحنا في تفسيرها أيضا ما اجملناه في المسألة الثانية هنا من وجوه الحاجة الى التعدد من شخصية وطبيعية واجتماعية وآراء بعض علماء الافرنج ونسائهم الكاتبات في تفضيله على بذل النساء من أبكار وثيبات أعراضهن للرجال في اختلاطهن بهم في المعامل وخدمة البيوت وما في ذلك من المفاسد والمضرات التي لا يعد تعدد الزوجات بالنسبة اليها شيئا قبيحا او ضارا اذا التزم فيه شرع الاسلام . وقد زادنا كتفاه في موضوعها على ثلاثين صفحة ولا تسع هذه الرسالة لنقله كله، فراجع تفصيله في محله (٢)

بيد اني أكتب هنا كلمة في استعداد كل من الزوجين للنسل الذي هو غاية الزوجية ومقصدها الفطري بما تظهر به حكمة جعل الحد الاقصى في عدد الزوجات أربعا. وأقفي عليه بيان الاسباب التي يكون بها التعدد حاجة أو ضرورة تقتضيها مصلحة الزوجية بل مصلحة الانسانية ، ثم انقل بعض ما اشرت اليه من ذلك التفصيل

---

(١) رواه احمد وابن ماجه عن ابن عباس (٢) راجع ص ٣٤٤ - ٣٧٥ ج ٤ تفسير المنار

٢٦ — استعداد كل من الذكر والانثى للنسل

من المعلوم بالمشاهدة أن الذكر قد يكون مستعداً لوظيفة النسل من سن البلوغ الى نهاية العمر الطبيعي وهو مائة سنة، وأن الانثى ينقطع استعدادها في سن الخمسين الى ٥٥ ثم إنها اذا حملت كان حملها شاغلا لها عن غيره الى نهاية مدته وهي تسعة أشهر في الغالب ثم الى انتهاء النفاس وهو اربعون يوما في المتوسط وقد يمتد الى شهرين ولكن لاحد لاقله، ثم ان استعدادها للحمل في مدة الرضاعة يكون ضعيفا جدا ومن مصلحتها ومصلحة طفلها ان لايقع وان كان ممكنا ومدة الحمل والرضاعة المشتركة بين البدو والحضر سنتان ونصف كما قال تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ولكن الرجل يكون في كل هذه المدة مستعداً للقيام بوظيفته الزوجية ان لم يكن في كل يوم ففي كل أسبوع أو أقل أو أكثر على حسب قوة المزاج وسلامة البنية وحسن الغذاء وما يقابل ذلك من الاضداد، فاذا فرضنا ان زوجين اقترنا في متوسط سن البلوغ وهو ١٥ سنة كان أقصى [illegible] عاما وهو على كونه نادرا يبلغ ربع ما يمكن ان [illegible]

وقد بينت في آخر فصل المساواة بين الزوجين ما يفضل به الرجل على المرأة في مادة النسل وحملها في العلوق والحمل الذي للمرأة فيه ما هو معروف مما هو خاص بها.

وقد علم بالاختبار أنه يوجد من النساء الزاهدات في الرجال لضعف استعدادهن للنسل أضعاف ما يوجد في الرجال من الزاهدين في النساء وان موانعه الخلقية فيهن أكثر من موانعه فيهم،

٢٧ — مصلحة الزوجية أو الانسانية في تعدد الزوجات

سبق لي ان بينت هذا الموضوع في فتوى عن سؤال ورد من طالب طب في امريكا نشرت في مجلد المنار السابع (سنة ١٣٢١) ثم في جزء التفسير الرابع — وبدأتها بخمس مقدمات قفيت عليها بما يلي:

إذا أنعمت النظر في هذه المقدمات كلها، وعرفت فرعها وأصلها، تتجلى لك النتيجة أو النتائج الآتية: ان الاصل في السعادة الزوجية والحياة البيتية هو أن يكون للرجل زوجة واحدة، وان هذا هو غاية الارتقاء البشري في بابه والكمال الذي ينبغي

أن يرى الناس عليه ويقتدوا به ، وانه قد يعرض له ما يحول دون اخذ الناس كلهم به ، وقد تمس الحاجة إلى كفالة الرجل الواحد لأكثر من امرأة واحدة ، وان ذلك قد يكون لمصلحة الافراد من الرجال والنساء جميعا كأن يتزوج الرجل بامرأة عاقر فيضطر الى غيرها لاجل النسل ، وقد يكون من مصلحتها أو مصلحتها معاً أن لا يطلقها وترضى بأن يتزوج بغيرها ، لاسيما إذا كان ملكا او اميراً - او تدخل المرأة في سن اليأس ويرى الرجل انه مستعد للاعقاب من غيرها وهو قادر على القيام بأود غير واحدة وكفاية أولاد كثيرين وتربيتهم ، أو يرى ان المرأة الواحدة لا تكفي لاحصانه لان مزاجه يدفعه الى كثرة الافضاء ومزاجها بالعكس ، أو تكون فاركا منفاضا (أي تكره الزوج عليها) أو يكون زمن حيضها طويلا ينتهي إلى خمسة عشر يوما في الشهر ويرى نفسه مضطراً الى احد الامرين : التزوج بثانية أو الزنا الذي يضيع الدين والمال والصحة ، ويكون شراً على الزوجة من ضم واحدة اليها مع العدل [illegible] كما هو شرط الاباحة في الاسلام ، ولذلك استبيح الزنا في البلاد التي يمنع فيها التعدد بالمرة

وقد يكون التعدد لمصلحة الامة كأن [illegible] فاحشة كما هو الواقع في مثل البلاد الانكليزية وفي كل بلاد [illegible] حرب [illegible] بالالوف الكثيرة من الرجال فيزيد عدد النساء زيادة فاحشة تضطرهن الى الكسب والسعي في حاج الطبيعة ولا بضاعة لأكثرهن في الكسب سوى أبضاعهن ، واذا هن بذلنها فلا يخفى على الناظر ما وراء بذلها من الشقاء على المرأة التي لا كافل لها اذا اضطرت الى القيام بأود نفسها ، وأود ولد ليس له والد ولاسيما عقب الولادة ومدة الرضاعة بل الطفولية كلها ، وما قال من قال من كاتبات الانكليز بوجوب تعدد الزوجات إلا بعد النظر في حال البنات اللواتي يشتغلن في المعامل وغيرها من الاماكن العمومية وما يعرض لهن من هتك الاعراض ، والوقوع في الشقاء والبلاء ، ولكن لما كانت الاسباب التي تبيح تعدد الزوجات هي ضرورات تقدر بقدرها وكان الرجال انما يندفعون الى هذا الامر في الغالب إرضاء للشهوة لا عملا بالمصلحة ، وكان الكمال الذي هو الاصل المطلوب عدم التعدد — جعل التعدد في الاسلام رخصة لا واجبا ولا مندوبا لذاته ، وقيد بالشرط الذي نطقت به الآية الكريمة ، وأكدته تأكيداً مكرراً فتأملها اهـ

وكتبنا في الرد على لورد كرومر إذ ألقى خطبة انتقد بها الشريعة الاسلامية ما نصه نقلا عن (ص ٢٢٥) من مجلد المنار العاشر :

طالما انتقد الاوربيون على الاسلام مسألة مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات ، وهما لم يبطلا ولم يجمدا فيه ، وإنما أجيزا لأنهما من ضرورات الاجتماع كما بينا ذلك غير مرة ، وقد ظهر لهم تأويل ذلك في الطلاق فشرعوه وإن لم يشرعه لهم كتابهم (الانجيل) إلا لعلة الزنا . وأما تعدد الزوجات فقد تعرض الضرورة له فيكون من مصلحة النساء أنفسهن كأن تغتال الحرب كثيراً من الرجال فيكثر من لا كافل له من النساء فيكون الخير لهن أن يكن ضرائر ولا يكن فواجر يأكلن بأعراضهن ويعرضن أنفسهن بذلك لمصائب ترزحهن أثقالها . وقد أنشأ القوم يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة إلى هذا كما عرفوا وجه ذلك في مسألة الطلاق وقام غير واحدة من نساء الانكليز الكاتبات الفاضلات يطالبن في الجرائد بإباحة تعدد الزوجات رحمة بالعاملات الفقيرات ، وبالبغايا المضطرات . وقد سبق لنا في المنار ترجمة بعض ما كتبت إحداهن في جريدة (لندن تروث) مستحسنة رأي العلامة (توماس) [illegible] بأنه لا علاج لتقليل البنات العاهرات إلا تعدد الزوجات ، وما كتبت العالمة (مس [illegible]) في جريدة (الاسترن ميل) والكاتبة (اللادي [illegible]) في مجلة [illegible] (راجع ص ٤٨١ م ٤ منار)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن قاعدة اليسر [illegible] الأساسية لبناء الاسلام (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر — و ٥ : ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج) ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة تحريم أمر تلجئ إليه الضرورة أو تدعو إليه المصلحة العامة أو الخاصة (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية وغيرها) وهو مما يشق امتثاله دفعة واحدة لأمة جرى من اعتادوا المبالغة فيه كتعدد الزوجات ، كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس وشأنهم فيه على ما فيه من المفاسد فهل بقي إلا أن يقلل العدد ويقيد بقيد ثقيل وهو اشتراط انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات ، وهو شرط من حققه ومن فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحدة يتجلى له أن أكثرهم لم يلزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي

وجملة القول في هذه المسألة أن القرآن أتى فيها بالكمال الذي لا بد أن يعترف به جماهير الأوربيين ولو بعد حين ، كما يعترف به بعض فضلائهم وفضلياتهم الآن . وأما المسلمون فربما زاغوا عن هدايته فصاروا حجة على دينهم ، ونحن أحوج إلى الرد عليهم والنكاية بإرجاعهم إلى الحق منا إلى إقناع غير المسلمين بفضل الاسلام مع بقاء أهله على هذه المخازي والآثام ، إذ لو رجعوا إليه لما كان لأحد أن يعترض عليه اهـ

٢٨ — أقوال بعض فضليات الانكليزيات في تعدد الزوجات

أما ما أشرنا إليه من اقتراح بعض كاتبات الافرنج تعدد الزوجات فهو ما أودعناه مقالة عنوانها (النساء والرجال) نشرت في (ص ٤٨١ م ٤) من المنار (*) وهاك المقصود منها

لما تنبه أهل أوربا إلى إصلاح شؤونهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اعتنوا بتربية النساء وتعليمهن فكان لذلك أثر عظيم في ترقيتهم وتقدمهم ولكن المرأة لا تبلغ كمالها إلا بالتربية الاسلامية وأعني بالاسلامية ما جاء به الاسلام لا ما عليه المسلمون اليوم ولا قبل اليوم بقرون فقد قلت آنفا إنهم لم يرعوا تعاليم دينهم حق رعايتها . ولهذا وجدت مع التربية الاوربية للنساء جرائم الفساد وعن هذه الجرائم تولدت منها الادواء الاجتماعية والامراض المدنية [illegible] في الدولة السابقة اليها وهي فرنسا فضعف نسلها وقلت مواليدها [illegible] والذنب في ذلك على الرجال

[illegible] الكتاب الاذكياء وصرح من يعرف [illegible] الى تعاليمها المرضية وفضائلها الحقيقية ، وصرحوا بأن الرجل هو الذي أضل المرأة وأفسد تربيتها وان بعض فضليات نساء الافرنج صرحن بتمني تعدد الزوجات للرجل الواحد ليكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال

(١) جاء في جريدة (لاغوص ويكلي ركورد) في العدد الصادر في ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠١ نقلا عن جريدة (لندن تروث) بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته ملخصا:

« لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنت امرأة أراني انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وتفجعي وإن شاركني فيه الناس جميعا ؟! لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة ولله در العالم الفاضل (تومس) فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء وهو (ان يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة) وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل

(*) هو الذي صدر في جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ هـ الموافق سبتمبر سنة ١٩٠١ م

البلاء في اجبار الرجل الاوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد وقذف بهن الى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر اذا لم يبح للرجل التزوج بأكثر من واحدة .

« أي ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعالة وعاراً على المجتمع الانساني ؟ فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الاولاد وبأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون، ولسلم عرضهن وعرض أولادهن فان مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . ألم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس أرود) مقالة مفيدة في جريدة (الاسترن ميل) في العدد الصادر منها في عشرة مايو (أيار) سنة ١٩٠١ نقتطف منها ما يأتي :

«لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الابد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الاعراض بسوء . نعم انه لعار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها ؟

وقالت الكاتبة الشهيرة (اللادي كوك) بجريدة الايكو ما ترجمته وهو يؤيد ما تقدم

«ان الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهنا البلاء العظيم على المرأة، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل الموت أيضاً . أما الفاقة فلان الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذي تحصل به قوتها، وأما العناء فهو أن تصبح شريرة حائرة لا تدري

ماذا تصنع بنفسها، وأما القتل والعار فأي عار بعده، وأما الموت فكثيراً ما يبخع المرأة نفسها بالانتحار وغيره

هذا والرجل لا يلزمه شيء من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هي المسوءة وعليها التبعة مع ان عوامل الاختلاط كانت من الرجل

« أما آن لنا أن نبحث عما يخفف - إذا لم نقل عما يزيل - هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؟ أما آن لنا أن نتخذ طريقاً يمنع قتل ألوف الالوف من الاطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذي أغرى المرأة المجبولة على رقة القلب المقتضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويمني به من الاماني، حتى اذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسي العذاب الاليم

« يا أيها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن في المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا . علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلنا الاحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والخادمات في البيوت وكثير من السيدات المعرضات للانظار، ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للاسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن، لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان، حتى أصبح رجال مقاطعات من بلادنا لا يقبلون البنت زوجة ما لم تكن مجربة، أي عندها أولاد من الزنا ينتفع بشغلهم ! ! ! وهذا غاية الهبوط بالمدنية، فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم، والذي علقت منه لا ينظر إلى أولئك الاطفال ولا يتعهدهم بشيء، ويلاه من هذه الحالة التعسة : ترى من كان معينا لها في الوحم ودواره ، والحمل وأثقاله ، والوضع وآلامه، والفصال ومرارته ؟ » اهـ

ذلك ما قلناه في وجه الحاجة تارة والضرورة تارة الى تعدد الزوجات ويزاد عليه ما علم منه ضمنا من كثرة النسل المطلوب شرعا وطبعا، فاذا كان منع التعدد ولا سيما في أعقاب الحروب وكثرة النساء يفضي الى كثرة الزنا وهو مما يقلل النسل كان مما يليق

بالشريعة الاجتماعية المرغبة في كثرة النسل والمشددة في منع الزنا ان تبيح التعدد عند الحاجة اليه لاجل ذلك مع التشديد في منع مضراته. وقد صرح بعض علماء أوربا بأن تعدد الزوجات من جملة أسباب انتشار الاسلام في افريقية وغيرها وكثرة المسلمين. ومهما يكن من ضرر تعدد الزوجات فهو لا يبلغ ضرر قلة النسل التي نيت بعرفنا بانتشار الزنا وقلة الزواج ومنيتها انكلترا وغيرها من الامم التي على شاكلتها في التساهل في الفسق

والممنوع تعدد الزوجات إذا فشا ضرره وكثرت مفاسده وثبت عند أولي الامر الجمهور لا يعدلون فيه في بعض البلاد لعدم الحاجة اليه بالضرورة فقد يمكن أن يوجد له وجه في الشريعة الاسلامية السمحة اذا كان هناك حكومة اسلامية فان للامام ان يمنع المباح الذي يترتب عليه مفسدة ما دامت المفسدة قائمة به والمصلحة بخلافه، بل منع عمر (رض) في [illegible] لنظائر اخرى ليس هذا محل بيانها، وللاستاذ الامام فتوى في ذلك [illegible] ٢٨ من المنار)

لكن الافرنج يبالغون في وصف مفاسد التعدد وكذا المتفرنجون كدأب الناس في التسليم للامم القوية والتقليد لها. وما قال الاستاذ الامام ما قاله في التشنيع على التعدد الا لتغير الشواذين من المصريين وأمثالهم الذين يتزوجون كثيراً ويطلقون كثيراً لمحض التنقل في اللذة والاغراق في طاعة الشهوة مع عدم التهذيب الديني والمدني

ألا ان التهذيب الذي يعرف به الانسان قيمة الحياة الزوجية يمنع صاحبه التعدد لغير ضرورة فهذه الحياة التي بينها الله تعالى في قوله (٣٠ : ٢١ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) قلما تتحقق على كمالها مع التعدد، ولاسيما اذا كان لغير عذر ولذلك يقل في المهذبين من يجمع بين زوجين، وانني لا أعرف أحداً من أصحابي في مصر وسورية له أكثر من زوج واحدة الا المراد منه

يامعشر النساء المحصنات

أرأيتن ما نقلته اليكن عن بعض نساء الشعب الانكليزي الذي هو أعز من الشعب الفرنسي أخلاقا ، وأمثل تربية وأكثر نسلا ؟ ذلك ما كتبنه منذ ثلاثين عاما فما رأيكن فيما يقوله أمثالهن من الكاتبات والكاتبين في هذه الاعوام ، وقد فقدت أوربة في حربها العالمية الكبرى زهاء عشرين مليون رجل أمسى مثلهم أو أكثر منهم من النساء محرومات من الحياة الزوجية والنسل وكفالة الرجل(١) فترمل الملايين منهن وصرن يزاحمن الرجال في الاعمال على كثرة العاطلين منهم والعاطلين ، ويطلبن مساواتهم في كل شيء ، فقلت الرغبة في الزواج وتفاقم شر الطلاق ، واستشرى فساد الخنا والبغاء ، حتى صرح بعض كبار العقلاء من الكتاب بأن البيوت الانكليزية مهددة بالسقوط والزوال بعد أن كانت أشد رسوخا وثباتا من الجبال ، وان الحال فيما عدا إيطالية من الدول الحربية أيضا ، ولا سيما الولايات المتحدة الامريكية فان اسراف نسائها ورجالها في الطلاق والمساواة المطلقة قد أحدث خللا يقوض فيها بناء الاسرة وينتهي باستقلال النساء وأمر النسل الى الفوضى المطلقة . وان آخر ما قرأناه عن نسبة عدد الطلاق الى عدد الزواج فيها انه بلغ ٢٠ في المائة وقال انه يتوقع بلوغه النصف بعد سنين قليلة

٢٩ — كلمات لبعض كبار علماء أوربة في التعدد والاسلام

ولولا أن تطول هذه الرسالة بما يخرج بها اقترحه طالبوها من القصد فيها لنقلت لكن كثيراً من أقوال الصحف الافرنجية في اثبات ما ذكرت ولكنني أختم هذه المسألة بحكم حكيمين من أكبر علماء الاجتماع وفلسفة التاريخ الواسعي الاطلاع على تاريخ المسلمين وغيرهم في المسألة

(الاول) الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي صاحب المصنفات . وله في تعدد الزوجات وأقوال علماء الافرنج فيه أقوال كثيرة في مصنفاته أوسعها بسطاً وتحقيقاً ما نشره في كتابه (حضارة العرب) فأثبت به عدالة حكم الاسلام بالتعدد واقتضاء

(١) جاء في بعض الجرائد أن عدد النساء الايامى في أوروبه ٢٥ مليونا

الضرورة الاجتماعية له . وله فيه عبارة مختصرة في كتابه روح السياسة قالها في سياق الكلام على اصلاح أمور المسلمين في الجزائر هذه ترجمتها :

«وأهم اصلاح يراه الموسيو (لروا بوليو) هو تحريم تعدد الزوجات ، وقد أسهب في بيان فوائد الاقتصار على زوجة واحدة فقال : « ان تدبير المنزل يقوم على الزوجة الواحدة فقط . فبتعدد الزوجات تزول روح العائلة وهناء البيت وينحط المجتمع العربي»

«ولا أريد أن أبين هنا الاسباب التي جعلت الشرقيين يقولون بتعدد الزوجات وأن أذكر أن تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير من تعدد الزوجات الخبيث المؤدي الى زيادة اللقطاء في أوربا . فعلى القارىء أن يطالع كتابي « حضارة العرب » . ففيه يجد إيضاحا كافياً لهذه المسائل وغيرها ويرى أنه ظهر أيام سلطان العرب نساء فضليات عالمات كما يظهر عندنا في هذه الأزمنة .

«وقد ثبت في أيامنا أن توقف ارتقاء المسلمين لم ينشأ عن تعدد الزوجات . ومن الضروري أن أذكر أن العرب وحدهم هم الذين أطلعوا العالم الاغريقي الروماني وأن جامعات أوربا ومنها جامعة باريس [illegible] ستة قرون [illegible] أخلاقاً غير مؤلفات العرب وتطبيق مناهجهم [illegible] الى [illegible] يعرف التاريخ ما هو أكثر منها [illegible] غير أننا نرى من السذاجة أن نعزو إلى مبدإ تعدد الزوجات نتائج صادرة عن عوامل أكثر منها أهمية

« ولا ندرك السبب في حقد ذلك الاستاذ الفاضل على مبدأ تعدد الزوجات وهو الذي يخبرنا باقتصاره على عائلات العرب المثرية وبأن ظله يتقلص بالتدريج واذا كان الرجوع اليه نادر أفماذا يراد إلغاؤه وكيف يكون « من الاسباب الكبيرة في انحطاط المجتمع العربي »؟

وأما العالم الثاني فهو الاستاذ (فون أهر مسلس) الالماني فانه قد صرح بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة أو ضرورية للسلائل الآرية ، أي نموها وبقائها .

وهكذا يرجع علماء الافرنج وحكماؤهم إلى قواعد الاسلام قاعدة بعد قاعدة بل جزم العلامة برناردشو الانكليزي في كتابه (التزويج) أو الحياة الزوجية بأن الدولة الانكليزية ستضطر الى اتخاذ الاسلام دينا لها قبل انقضاء هذا القرن . ونقلت عنه بعض الصحف العربية أنه جزم بأن شعوب اوربة وأمريكا كلها ستهتدي بالاسلام قبل انقضاء قرن — وهذا ما نجزم بانتهاء جميع الافرنج اليه بالتبع لما جزم به قبلنا حكيما الاسلام السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده (رح) وسيصدق عليهم قول الله عز وجل (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)